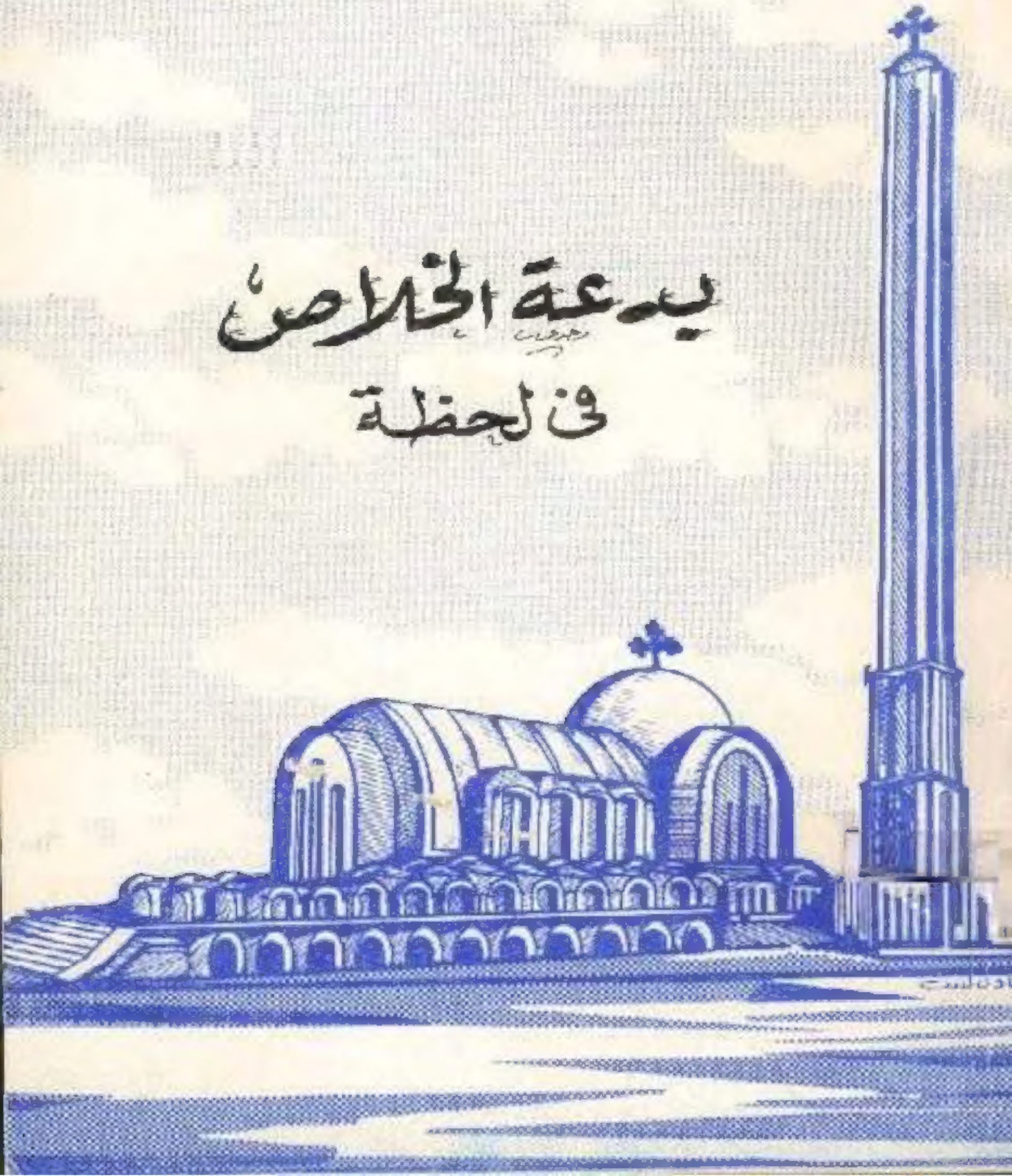


البابا شنودة الثالث

بيعة الخالص في لحظة



قصيدة هذا الكتاب

بدأت المفاهيم الخاطئة تنتشر حول عقيدة الخلاص منذ منتصف الستينات ،
مما اضطرني إلى شرح هذا الموضوع في مؤتمرين لخدام الوجه البحري ، عقدا في بنها في
أبريل ومايو سنة ١٩٦٧ . وكانت نتيجهما طبع كتاب لنا هو [الخلاص في المفهوم
الأرثوذكسي] صدر في يونيو ١٩٦٧ .

وعادت المشكلة مرة أخرى إلى الظهور في النصف الثاني من السبعينات ،
ولكن في شكل جديد هو (بدعة الخلاص في لحظة) . وقد نشرنا عنها مقالات كثيرة
في مجلة الكرازة من سنة ١٩٧٨ إلى سنة ١٩٨٠ . وقمنا بتدريس موضوع الخلاص في
الكلية الاكليريكية ، مع الجدل المحيط به ، وبخاصة في الإخوة البلاميس ومن أخذ
عنهم .

وأنا في كل ذلك أضع أمامي قول الآباء الرسل في الدسقولية : « اجمع الذنب
بالتعليم » . وكل ما أريده هو الاقناع ، وليس معاقبة المخطئين .

وأخيراً أصدرنا هذا الكتاب ، ليكمل كتابنا الأول عن الخلاص .

وأرى أن هناك حاجة إلى إصدار كتاب ثالث في موضوع الخلاص ، يشمل
مناقشة ما يقوله البروتستانت عن : التبرير ، والتقديس ، والتمجيد ، والتجديد ،
والملء ... وما إلى ذلك من موضوعات .

وقد رددت على كل النقطة ، التي ظهرت في بعض الكتب كمجال للشك .
وأخيراً أقول لأولادي . ها أمامكم الطريقان واضحان . انظروا في أيهما تسلكون .

أريدكم أن تفهموا ، وتؤمنون باعتقاد الكنيسة السليم ، لا أن تقولوا : آمين .

البابا شنودة الثالث

أهمية

العقيدة وتدريسها

هل نعلم أولادنا الفضيلة ، بلا إيمان ،
ونتركهم لمحاربات الشكوك ؟

هل التعزية الروحية تكون على حساب الإيمان ؟
وما موقفنا من حرب الشكوك ؟

مقدمة

في وقت ما ، ربما منذ أكثر من ثلاثين سنة ، اتهمتنا بعض الطوائف ، أن ندرسين العقيدة للناس يكون على حساب روحياتهم ، وأن عطاتنا ليست خلاصية ، وأنهم يسمعون الكلام في العقيدة فلا يتعززون ، وأن التعزية لا تأتي إلا بترك المنهج العقيدى إلى المنهج الروحى أو (الخلاصى) بحسب تعبيرهم !!

وفى (بساطة) الأقباط ، تركنا تدريس العقيدة ، وبدأنا فى الكلام عن الروحيات ، جاريناهم فى الطريقة (الخلاصية) . فلما وجدونا هكذا ، صاروا يدرسون العقيدة فى عمق ، بحسب مفاهيمهم ، ويجعلون الكبار والصغار يحفظون آيات معينة ، يفسرونها لهم بطريقة خاصة . وتحولت مواضعهم الخلاصية إلى موضوعات عقائدية بحتة . والمنهج العقلى الذى انتقدوه ، اندمجوا فيه إلى أبعد الحدود .

وتنبهت الكنيسة للعملية كلها ، وكيف بدأت وتحولت وتطورت .

ورأت الكنيسة أولادها أمام مجموعات ضخمة من الشكوك ، توجه إلى الإيمان ، من داخل ومن خارج ...

وكان لا بد أن تعمل عملاً . والعمل بدأ من رئاسة الكنيسة . ولكنه لا بد أن ينتشر فى كل مكان ، من أجل الإيمان ...

ووجد أولادنا أنفسهم أمام شكوك لم تدرس لهم فى مدارس التربية الكنسية ، ولا فى اجتماعات الوعظ فى الكنيسة ، ولم يجدوا مؤلفات تقدم ردوداً . بل زحفت التعاليم الغريبة حتى إلى بعض الذين يقومون بالتعليم داخل الكنيسة !!

إن الدين ليس هو مجموعة من الفضائل . فالفضائل توجد حتى عند غير المؤمنين ، عند البراهما والبوذيين وغيرهم ... ولكن الدين أولاً هو عقيدة وإيمان .

ومن هذا الإيمان تنبع الفضائل ، ويكون لها وضع روحى غير وضع الفضائل عند غير المؤمنين ...

(والخلاص) وإن كان يتعلق بروحيات الإنسان ، إلا أنه عقيدة لها أسسها . وهذه العقيدة تؤثر على طابع الروحيات ...

ولذلك فإن الكنيسة ستعمل بكل جهدها ، على تعميق مفاهيم العقيدة في أبنائها منذ بداية طفولتهم ، حتى إذا شبوا لا تتبهم الشكوك والمعاربات الفكرية التى من الخارج ..

الآباء والأمهات عليهم مسئولية كبيرة في هذا المجال ..

وينبغى أن تدرك الأم مدى مسئوليتها كأشياء لطفلها ، تسلمته من الكنيسة يوم العماد لتربيته في حياة الإيمان السليم ..

والمسئولية تقع أيضاً على مدارس التربية الكنسية التى ينبغى أن تتعدل مناهجها وتتفق والقيام بهذه الرسالة .

وهناك مسئولية أيضاً على الآباء الكهنة ، وعلى الوعاظ ، والمهتمين بقيادات الشباب ، وكل من له مهمة التعليم ..

الطفل نقدم له الإيمان بطريقة التسليم ، وفي المراحل المتقدمة يأخذ التعليم أسلوب التفهيم . وفي كل الفترات نجعل أولادنا يحفظون العقيدة والآيات . وفي المرحلة الثانوية والجامعية ، يدخل أبنائنا في المرحلة الجدلية التى تحتل مناقشة الآراء المعارضة والشكوك .

ويشمل تدريسنا المنهجين معاً ، العقيدى والروحى ، الإيمان والفضيلة ، العقل والقلب ، الإنسان كله ، لكى يكون منهجاً متكاملأ ...

اهتمامنا بالإيمان والعقيدة لا ينسينا الحياة الروحية والسلوك المسيحى . والاهتمام بالفضيلة لا ينسينا الإيمان ... افعلوا هذه ولا تتركوا تلك . فالتطرف في أحد الطرفين له أخطاؤه وأخطاره .

وفيما ندرس الإيمان لا نكون عقلانيين ، وإنما روحيين أيضاً .

وعلينا أن نجمع كل ما يواجه أبناءنا خارج الكنيسة ، من أفكار وتيارات وحروب وشكوك وتقدم لهم ردوداً ..

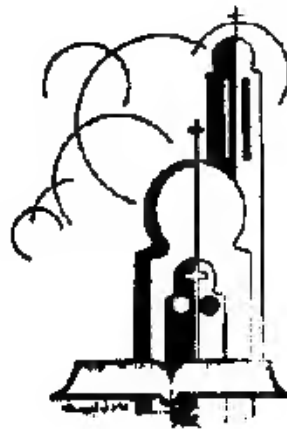
وتكون هذه أيضاً مسئولية كنائسنا ومجلاتنا ومفكرينا ، بل تكون هذه أيضاً مسئولية كليائنا الإكليريكية ..

هذا الجيل الذى نعيش فيه ، يحتاج إلى اهتمام خاص بالإيمان . ويكفى كبرهان نظرة واحدة إلى المكتبات والمطبوعات .

وهو جيل لا تصلح له السطحية فى التعليم ، وإنما يجب إعداد المعلمين بعمق خاص فى الفهم والمعرفة والدراسة .

وينبى أن تكون للخدام دراسات مستمرة تنشط معلوماتهم ، وتجعلها مناسبة لجيلهم Refreshing courses .

كل عصر له أفكاره ، وله الدراسات التى تناسبه . ولا يجوز أن يعيش الخدام فى غبر جيلهم ، لا يشعرون بالحروب التى يتعرض لها أبنائهم ، بالشكوك الفكرية التى تهاجمهم . وما أجل قول الرسول : « كونوا مستعدين فى كل حين ، لإجابة كل من يسألکم ، عن سر الرجاء الذى فيکم » .



الفصل الأول



تاريخها، وخطورتها

نبذة تاريخية

الكنيسة - طوال القرون الخمسة عشر الأولى - في اعتقادها بالكهنوت والأسرار الكنسية والتقاليد، ما كانت تؤمن مطلقاً بأن الخلاص يتم في لحظة. فالخلاص يتم بدم المسيح، ولكن عن طريق الأسرار المقدسة التي وضعها الله في كنيسته بالروح القدس العامل فيها، والتي يمارسها رجال الكهنوت.

واستمر الأمر هكذا، إلى قيام البروتستانتية بقيادة لوثر، في بداية القرن السادس عشر للميلاد.

مارتن لوثر كان راهباً كاثوليكياً، وكان كاهناً. ثم اصطدم بالكنيسة الكاثوليكية، رغبة في اصلاح الأخطاء التي كانت سائدة وقتذاك. فحرمته الكنيسة وقطعته من الكهنوت. وهنا بدأت المشكلة في دورها الخطير... الذي يبنى أساساً وقبل كل شيء، على كيف تعيش البروتستانتية بدون كهنوت، وبالتالي - في موضوعنا هذا - كيف ينال الناس الخلاص، بعيداً عن عمل الكهنوت؟

لوثر وجماعته - في حياته ومن بعده - ما كانوا يستطيعون أن يمارسوا أى عمل من أعمال الكهنوت. الكنيسة قطعتهم من الكهنوت، فليقطعوا هم أيضاً الكهنوت من كل أعمال الكنيسة! وهكذا أنكروا الكهنوت، وأنكروا سلطة الكهنوت، وفادوا بأنه لا يوجد سوى كاهن واحد في السماء وعلى الأرض هو يسوع المسيح. وقد قمنا بالرد على هذه النقطة في كتابنا [الكهنوت] .

كذلك قامت البروتستانتية بإلغاء كل ما وضعه رجال الكهنوت بسلطانهم الكهنوتي. وقالوا إنهم يعتمدون على الإنجيل وحده: لا قوانين كنسية، ولا قرارات مجامع مقدسة، ولا تقاليد كنسية، ولا أقوال آباء...

ولم توافق البروتستانتية أن تكون الكنيسة وسيطة في نوال الخلاص ، ولا في أية علاقة بين المؤمن وإلهه . واعتبرت هذه العلاقة مجرد علاقة فردية ، لا دخل للكنيسة ولا للكهنوت فيها ..!

وكما ألغت هذه الوساطة على الأرض ، ألغت أيضاً في عقيدتها كل وساطة أخرى في السماء ، أعنى كل شفاعة القديسين الذين انتقلوا ، وعلمت أبناءها أنه لا فرق بينهم وبين هؤلاء القديسين ، فكل المؤمنين قديسون حسب تسميتهم في العصر الرسول . وخلطت بين الشفاعة الكفارية والشفاعة التوسلية ، حسب فهمها للآية التي تحدث عن الغداء قائلة إنه لا يوجد سوى وسيط واحد وشفيع واحد بين الله والناس هو يسوع المسيح (١ تي ٢ : ٥) .

ولم يعد في البروتستانتية إكرام للقديسين ولا للملائكة ولا للعلماء ، ولم تعد الكنيسة تبنى بأسمائهم .

ومع إنكار الكهنوت وكرامة القديسين ، ومع إنكار القوانين والتقاليد ، تطور الأمر إلى إنكار تعليم الكنيسة ، فلم يعد ملزماً لأحد . وأصبح لكل أحد الحق في أن يفسر الكتاب كما يشاء !! بلا ضابط من سلطة كنسية .

ومع أن بعض العقلايين ظنوا أن هذا الأمر كان تحريراً للعقل البشري من كل سلطة كنسية ، ليفكر كما يشاء ، حتى أسموا قيام البروتستانتية بحركة التحرير ! إلا أنه كان من نتيجة هذه (الحرية) قيام عشرات المذاهب البروتستانتية ، ويقول البعض بل مئات . ويوجد في مصر منها ٢٨ مذهباً ... والسبب في ذلك هو عدم التقيد بضوابط من التقاليد الكنسية أو التعليم الكنسي ، وعدم وجود سلطة كنسية تؤاخذ أو تقوم من ينحرف في تفكيره اللاهوتي ...

ونفس خلفاء لوتر لم يلتزموا بكل تعليمه ، ووجد من هو أشد منه إنكاراً للتعليم الكنسي ، مثل كلفن وزوينجل وآخرين .

إنه أخرجهم من الخضوع للكنيسة ورؤسائها ، فما كان يستطيع أن يلزمهم بالخضوع له ولكل تعليمه . ويوجد حالياً من البروتستانت من يعارض لوتر في بعض الأفكار اللاهوتية . وأصبحت الكنيسة اللوثرية مجرد واحدة من الكنائس البروتستانتية المتعددة ، تختلف عن بعضها في الفكر .

المهم أن هيئة الكنيسة كقيادة ، زالت في الفكر البروتستانتي .

وبدأت العقلانية في الكنيسة تناقش كل شيء . وتقبل ما تقبله ، وترفض ما يرفضها .

وبالتالي أخذت البروتستانتية تندرج حتى أنكرت الأسرار .

أخذت تناقش أولاً ما هو تعريف السر؟ ثم ما هو عدد الأسرار؟ إلى أن انتهت إلى إنكار الأسرار . ومادام الكهنوت هو الذي يمارس خدمة الأسرار، ولا كهنوت في البروتستانتية ، إذن ما معنى وجود الأسرار وما لزومها ؟

ولعل البعض يقول : هناك المعمودية في البروتستانتية ...

نعم ، هناك المعمودية . ولكنها ليست سرّاً كسباً ، ولا يمارسها كهنوت . وليست لها الفاعلية التي نعتقد أنها فيها ..! هذه خلافات ثلاثة جوهرية ...

كان المسيحيون في الكاثوليكية قبل لوتر معتادين أن يعمدهم رجال الكهنوت في الكنيسة . والإيمان بالمعمودية أصبح راسخاً في النفوس مدى خمسة عشر قرناً ، ولا يمكن نزعها ، وتسنده آيات من الإنجيل ... فما العمل مع عدم وجود كهنوت في البروتستانتية ؟

الحل هو وضع الشيخ محل الكاهن . وفي ترجمة الكتاب ، تترجم كلمة كاهن بـشيخ . ويمكن للشيخ أن يعمدوا . ولا مانع من أن يأخذوا لقب (قس) ، دون أن يعني هذا اللقب أية صفة أو اختصاصات كهنوتية !

ولكن هل يخلص الناس في المعمودية في التفكير البروتستانتي ؟

كلا ، فالبروتستانتية تنادي بأن الخلاص بالإيمان وحده . وهذا خلاف رابع بيننا وبينهم في المعمودية .

وأخذ البروتستانت بشددون جداً على موضوع الإيمان . وأصبحوا يرددون في اجتماعاتهم عبارة « آمن فتخلص » ، كما لو كانت هذه هي الآية الوحيدة المتعلقة بالخلاص في الكتاب المقدس ! بل ركزوا على الإيمان ، حتى أصبحوا يقولون : « آمن فقط ... فتخلص » .

والإيمان شعور في القلب ، يرون أنه يمكن أن يتم في لحظة . وبالتالي يمكن
للإنسان أن يخلص في لحظة ، طبعاً بدون كنيسة ، ولا أسرار ، ولا المعمودية ، ولا
كهنوت !!

وهنا تحولت الفكرة إلى بدعة ، نحاول الآن مناقشتها ، لنرى ما مدى خطورتها على
إيمان الكنيسة كله ...

خطورة هذه البدعة

بدعة الخلاص في لحظة ، لا مانع من أن يحيا الناس حياة روحية تصلهم إلى
الخلاص الأبدي ، بعيداً عن عمل الكنيسة ، بعيداً عن عمل الكهنوت وعن السلطان
الكنسي ..! حياة أساسها الإيمان وحده ، وهو داخل القلب ... وأساسها النعمة ، وهي
من الله . ومع لتركيز على الإيمان والنعمة ، تصبح حياة الإنسان مجرد علاقة فردية بيه
وبين الله ، وتختفى كلمة الكنيسة ، وكلمة الكهنوت ، وكلمة الأسرار ، من حياة
الإنسان الروحية . وستضرب لذلك أمثلة عديدة :

المعمودية

تبعاً لبدعة الخلاص في لحظة ، لا يتحدثون عن عمل المعمودية في نوال الخلاص ،
لأن المعمودية لا تتم في لحظة . إذن يكون الخلاص في مفهومهم عن طريق الإيمان
وحده .

ويتدرج الأمر إلى مفهوم المعمودية ، فينكرون فاعليتها . وينسبون كل فاعلية
المعمودية إلى الإيمان ...

هل المعمودية تمنحك الولادة الثانية ، حينما تولد من الماء ولروح (يو ٣ : ٥) .
كلا ، إن الولادة الجديدة في مفهومهم تكون بالإيمان ، فأنت بالإيمان تصير ابناً لله !

هل المعمودية تمنح التبرير والتجديد ؟ إنك بالإيمان - كما يقولون - تنال التبرير والتجديد ! مجرد أن تنظر إلى المسيح وهو مصلوب ، تتبرر في لحظة !

هل تنال في المعمودية الخلاص ، ومغفرة الخطايا ، وفيها تُغسل من خطاياك ؟ كل هذا في نظرهم تناله بالإيمان ... تناله في (لحظة) إيمانك !..

لا مانع إذن من أن تبقى المعمودية ، على أن يجردوها من كل فاعليتها ، وتصبح مجرد جسد بلا روح ، مجرد علامة ، أو مجرد إشهار للإيمان ، أو إعلان للإيمان ، كما يقول الإخوة البلامي ... !

وهم يقولون إنهم نالوا المعمودية ! ونفذوا وصية المسيح فيها . ونسأل : ما هي فاعلية تلك المعمودية التي ليس بها الخلاص ، ولا التبرير ، ولا المغفرة ، ولا الولادة من الله ؟! ويبقى سؤالك بلا جواب ... !

وإن كان الإيمان به وحده يخلص الإنسان ، فما قيمة هذه المعمودية إذن التي قد يخلص الإنسان بدونها ؟! وما معنى قول الرب : « من آمن واعتمد خُص » (مر ١٦ : ١٦) .

ولا نجد لهذه الآية صدى في قلب نذير يؤمنون بالخلاص في لحظة ! ! ... ومادام الخلاص في نظرهم بالإيمان وحده ، إذن لا علاقة له بالكنيسة والكهنوت والأسرار ... ! وماداموا يركزون على الإيمان ، ولا يعتمدون إلا من يؤمن :

لذلك هم في المعمودية ، ينكرون عماد الأطفال بحجة أنهم لم يصلوا بعد إلى الإيمان الواعي !

ويبقى الأطفال هكذا - في نظرهم - بلا إيمان ، وبلا معمودية . ونسأل إذن كيف يخلصون ، إن كان الإنسان لا يخلص بدون معمودية ؟! (مر ١٦ : ١٦) . ويضيق الأطفال في زحمة هذه الأسئلة ! !

وكناحية من التساهل : يقول البعض : لا مانع من تعميد الأطفال . ولكنهم لا ينالون الخلاص إلا في " لحظة تفجر مفاعيل المعمودية في قلوبهم .. ويعلنون إيمانهم .. " .

وما فائدة هذه المعمودية إذن إن كانت لا تفيدهم إلا إذ تفجرت مفاعيلها حينما يكبرون ؟ وإن ماتوا قبل هذا ، هل يكونون قد نالوا الخلاص أم لا ؟

التوبة

يرون أنه إن تاب الشخص ، يخلص في لحظة توبته ! وطبعاً بلا اعتراف ، وبلا كاهن ، وبلا تحليل ..

والتوبة هي مشاعر شخصية ، لا علاقة للكنيسة بها . يقولون للشخص : الق نفسك عند أقدام المسيح ، فتخرج من هناك مبرراً ، وقد أشرف على قلبك نور ، وصرت أبيض من الثلج . وقد عاى الله كل خطاياك في لحظة ، في تلك الجلسة المنفردة التى جلستها عند قدميه ! تعال إذن لتحكى ختارك ... !

ولا مانع من أن تنشر هذه « الاختبارات الروحية » ، وى مجلة تحمل اسم الارثوذكسية ، لكى يقلدها الناس ، ويسيروا على نهجها ، ويحتفى بالتدريج من أذهانهم اسم الكاهن والتحليل والكنيسة والأسرار .

والذى نال الخلاص فى جلسته هذه المنفردة مع الله ، حسبما يقولون ، ما حاجته إذن إلى الكنيسة وأسرارها ؟

إنه يستغنى عنها طبعاً ، بهذه العلاقة الفردية المباشرة !

وفى التركيز على لايتن وحده وفاعليته ، يقولون لمن يخطئ : آمن فقط أن الله قد رفع عنك خطيئتك ، فتشعر أنها قد ارتفعت عندك فى لحظة ، ويملكك سلام قلبى يفوق كل عقل ... بدون اعتراف ، وبدون كنيسة ، وبدون كهنوت .

وإن أعترفت ، اعترف على الله - هكذا يقولون - فالله هو الذى يغفر لك وليس الكاهن . وفى لحظة اعترافك على الله ستخلص ، وتشعر أنك خلصت من خطاياك !

هذه هى مشكلة (الخلاص فى لحظة) التى يحاولون بها إلغاء الكنيسة ، وهدم كن أسرارها المقدسة ... ليس فقط المعمودية وبكهنوت والاعتراف ... إنما حتى سر المسحة المقدسة أيضاً ، التى بها نقبل الروح القدس ..

السحرة

يمكن لأى مؤمن - فى نظرهم - أن يضع عليك اليد ، فتنال الروح القدس .
بل يمكن لأى امرأة أن تضع عليك اليد ، فتنال الروح ، بل وتنال الملاء بالروح !
وتستطيع أنت أيضاً بهذا أن تمنح الروح لآخرين ...!

إذن لم تعد المسحة المقدسة سرّاً من أسرار الكنيسة ، وإنما أمكن تأميمها هى
أيضاً ، فسم تعد عملاً من أعمال الكهنوت ، كان يقوم بها الرسل فقط عند بدء قيام
المسيحية (أع ٨ : ١٤ ، ١٥) ... وأصبحت بهذا الوضع مجرد موهبة ، يمنحها لك الذين
نالوها من قبلك ، ولا دخل للكنيسة فى ذلك ...!

وجاهة الإخوة البلاميس ، يرون أن نوال الروح القدس يتم بالإيمان ! ففى
إيمانك تفيض من قلبك يبايع الروح ... وبهذا لا تكون محتاجاً إلى المسحة المقدسة من
الكنيسة ، لأنك تنال الروح من الله مباشرة ، أيضاً بالعلاقة الفردية ، وفى لحظة !!

الأسرار اختبارات

إنهم لا ينظرون إلى لأسرر من حيث مفعولها السرى فى الإنسان ، إذ ينال بها
نعمة غير منظورة بفعل الروح القدس وبخدمة الكهنوت ...

إنما ينظرون إلى كل سر ، على اعتبار أنه اختبار !

ولا يسمون الأسرار أسراراً ، وإنما يسمونها اختبارات !

يقولون إن هناك اختبارين هامين يجب أن يجتازهما الإنسان ، وهما التبرير
والتقديس . ويضمون هذين الاختبارين فى موضع سر المعمودية وسر الميرون ، دون
الإشارة اطلاقاً إلى هذين السرين ، ولا إلى علاقتهما بالكنيسة وبالكهنوت !!

ولحياة مع الله - فى نظرهم - هى مجرد اختبارات ...

الولادة الجديدة مثلاً ، ليست عندهم سرّاً من أسرار الكنيسة تتم فى
المعمودية ، إنما هى اختبارا ويسألون : هل حصلت يا أخى على اختبار الولادة

الجديدة؟ تعال كلم الناس من اختبارك، وكيف ولدت؟

ويبدو بالطبع ؛ أن هذه الولادة الجديدة ، لا علاقة لها مطلقاً بالمعمودية . ونضع
أسرار الكنيسة عندهم وتتحول إلى اختبارات !

ويقول لك أحدهم : تعال حك اختبارك : كيف نلت الروح ؟ كيف نلت
الماء ؟ تعال لتقول لنا اختبارك : كيف خصمت ؟ كيف أشرق عليك المسيح بنوره ؟

ويبدو من كل هذا أن قبول الروح ليس من أسرار الكنيسة ، إنما هو اختبار ! وأن
الخلاص ليس هو الإيمان ونور المعمودية على يد كاهن في الكنيسة . إنما الخلاص في
مفهومهم هو مجرد اختبار شخصي ، نتيجة لإلقاء نفسك عند قدمي المسيح ، ربما
في حجرتك المغلقة ، ولا علاقة للكنيسة بكل هذا ... ويتم هذا الخلاص في
غرفتك في لحظة ، أو في لحظة سماعك إحدى العظات ! ويصرخ السامع ويقول
مجداً ... ويكون قد خلاص وقتها !!

كل من يحدثك ، أو يطلب منك أن تتحدث عن (اختبار) خلاصك ... قل له
بصراحة : إن لغتك تظهرك ...

المسيرة

يرون انها تتم في لحظة الإيمان ، في لحظة قبولك للمسيح قادياً ومخلصاً !!
ويعتمدون على فهم خاطيء لقول الكتاب : «أما كل الذين قبلوه ، فأعطاهم سلطاناً
أن يصيروا أولاد الله» (يو ١ : ١٢) . أما شرح هذه الآية فسنجده في هذا لكتاب
ص ١٢٨ .

وهذه البنية لله ، تتم هكذا كما يقولون ، بدون المعمودية ، بدون الكنيسة ، بمجرد
العلاقة الفردية بينك وبين الله !

ولذلك هم يسألونك ان قابلتهم : هل خلصت ؟ هل قبلت المسيح مخلصاً
وفادياً ؟ كما لو أنك لم تكن مسيحياً على الإطلاق .

والبحض يقدم لك تمهداً - وربما في الإنجيل - لكي توقمه ، تقول فيه إنك قد قبلت
المسيح مخلصاً !!

وهم لا يكتفون بهذه البنية التي ملتها بالإيمان ، وإنما :
عليك أن تطالب بحقوقك كابن ، وكوريث مع المسيح !
وهكذا نصير في لحظة قبولك للمسيح ، ابناً لله ، وورثاً مع المسيح ، وصاحب
حقوق تطالب بها !
وهنا يفقد المؤمن انتفاعه . يفقد شعور الإنسحاق وعدم الاستحقاق . وبعد أن
كان إنساناً محكوماً عليه بالموت ، يصبح في لحظة مطالباً بحقوق له كوريث ...
وبعد أن كان في خورس الموعوظين ، يجد نفسه مدعواً لأن يقف على منبر الكنيسة
وكان ، يحكى اختباره في نوال البنية والميراث مع المسيح !

الخلاص

إنهم يضعون قاعدتين للخلاص : الخلاص بالدم ، والخلاص قد تم !
الخلاص قد تم على الصليب . وأنت قد نلت دم المسيح ، في لحظة إيمانك
بالمصلوب . وهذا الخلاص الذي نلته أبدي ، لا يمكن أن تمقده مهما سقطت .
لذلك عليك أن ترتل ترثيلة « مغسول بالدم الكريم » ... أو ترثيلة « إني واثق
بالدم ، أنا واثق .. » !
ومادمت قد نلت الخلاص ، عليك أن تحيا في بهجة هذا الخلاص إلى الأبد ، هذا
الخلاص المجاني ، الذي نلته بمجرد الإيمان ! هكذا يعتقدون ...
وفي الإيمان بعدم فقدان هذا الخلاص مهما سقط المؤمن ، يخلطون بين عبارة
« المؤمنين » وعبارة « المختارين » ، وكأنهما كلمة واحدة !
ونحن يمكننا أن نقول تعليقاً على هذا ، إن كل المختارين هم مؤمنون بلا شك .
ولكن ليس كل المؤمنين مختارين . فقد يتردد بعضهم بعد إيمانه ...
وسنكتب لك في هذا الكتاب بمشيئة الرب شرحاً لموضوع الاختبار ، والفكر
البروتستانتي فيه ، والرد عليه ...

ثم أن موضوع الخلاص في لحظة ، يتحير فيه المنادون به في معنى هذه اللحظة ومتى تكون ؟.. المكتفون بالإيمان يرونها لحظة الإيمان ! والذين يقولون إنهم أرثوذكس ، يقولون إن الخلاص في لحظة المعمودية .

وواضح أن القوم بالخلاص في لحظة الإيمان يسمي فاعلية المعمودية فيه . والقول بالخلاص في لحظة المعمودية ، يلغى أن الخلاص يتم بالإيمان وحده...

ويبقى السؤال في حيرة . أية السحطتين هي الأصح ! يزيد الحيرة إن الإيمان حصياً لا يتم في لحظة ! والمعمودية عملياً لا يتأها الإنسان في لحظة !

خطأ

والذين ينادون بالخلاص في لحظة ، يخلطون بين الخلاص والتوبة والتغير... فقد يتوب إنسان عن خطية بشعة تتعبه ، فيعتبرونه قد خلص ! وهكذا يخلطون بين الخلاص الذي يسمونه « التبرير » ، وبين التوبة التي يدخلونها تحت عنوان « التقديس » .
ويستخدمون هذه العبارات : التبرير - التقديس - التجديد - التمجيد - الخلاص ... تماماً بنفس معناها الموجود في الكتب البروتستانتية .

قائمة للتبرير

والعجيب أن الذين ينادون بالخلاص في لحظة ، على الرغم من كل هدمهم لقائد الكنيسة ، يحاولون أن يقدموا تبريراً لذلك :
فيقولون إنهم بهذا ، يسهلون للناس طريق الخلاص . فيقولون للناس إن الخلاص ليس صعباً ، بل هو يتم في لحظة !
ولكن السيد المسيح لم يفعل هكذا . وإفا قال لنا في صراحة : « ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة . وقليلون هم الذين يجدونه » (مت ٧ : ١٤) .

وكذلك آباءنا الرسل ، كلمونا بنفس الأسلوب ، وشرحوا لنا احروب الروحية
(أف ٦) وقالوا لنا ، إن عدونا إبليس يجول مثل أسد راثر يلتمس من يبتله (١ بط ٥ :
٨) ، وقالوا أيضاً : «سيرو زمان غربتكم بحوف» (١ بط ١ : ١٧) . وقالوا أيضاً :
« إن كان البار بالجهد يخلص ، فالفاجر والخطيء أين يظهران ؟ » (١ بط ٤ :
١٨) .

وهذا بوس الرسول يقول : « بصيغات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله » (أع
١٤ : ٢٢) ويوبخ أيضاً قائلاً : « لم تقاوموا بعد حسي الدم ، مجاهدين ضد الخطية »
(عب ١٢ : ٤) .

إن التسهيل قد يفقد البعض أحياناً إلى الاسهتار ، وإلى عدم الجهاد ،
ماداموا يعتقدون أنهم قد خصبوا وانتهى الأمر ! وأنه ما عليهم أن يعملوا شيئاً ،
فالنعمة تعمل كل شيء !!

وبعد

سنحاول أن نرد على كل النقاط التي يثيرها المتحدثون عن [الخلاص في لحظة]
سواء في بذنهم أو كتبهم . مع الرد على مصادرهم الرئيسية التي أحدوا منها ، أعني
الكتب البروتستانتية ، وبخاصة الكتب البلوسية ، فهي معلمهم الأول ... !

الفصل الثاني

العمودية والتوبة

و ضرورتها للخلاص

الذين يقولون إن الخلاص بالإيمان وحده ، لا يعطون قيمة ولا أهمية ولا فاعلية للمعمودية . وإن تكلموا عليها يكون كلامهم ضعيفاً وبغير روح ، ويكون متناقضاً مع كلامهم عن الخلاص في لحظة الإيمان .

ولا يعتقدون أن الإنسان ينال في المعمودية الخلاص . ولا التجديد ، ولا البنوة لله ، ولا مغفرة الخطايا ... فكل هذا ينسبونه إلى الإيمان ...

لزوم المعمودية للخلاص

ولكن الكتاب يعلمنا أن المعمودية لازمة للخلاص للأسباب الآتية :

١ - قول السيد المسيح : « من آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) . ولم يقل من آمن فقط ، وإنما جعل المعمودية من شروط الخلاص . وذلك لأنها موت مع المسيح وقيامته معه (رو ٦ : ٢ - ٤) .

٢ - وتكلم القديس بطرس الرسول عن الخلاص في المعمودية ، فقال : « إذ كان الفلك يُبنى ، الذى فيه خلص قليلون ، أى ثمنى أنفس بالماء ، الذى مثله يخلصنا نحن الآن ، أى المعمودية » (١ بط ٣ : ٢٠ ، ٢١) .

والقديس بولس الرسول يقول إننا بها خُصنا ، بغسل الميلاد الثانى (تى ٣ : ٥) .

٣ - في يوم الخمسين ، لما آمن اليهود إذ نخسوا في قلوبهم ، وقالوا للرسول : « ماذا نفعل أيها الرجال الإخوة » (أع ٢ : ٣٧) . لم يقل لهم القديس بطرس الرسول : مادعنتم قد آمنتم ، افرحوا إذن وتهللوا ، لقد خلصتم بالإيمان وعُفرت لكم خطاياكم !

كلا ، بل قال لهم : « نوبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لمغفرة الخطايا ، فقبلوا الروح القدس » (أع ٢ : ٣٨) .

إذن كانت خطاياهم باقية ، على الرغم من إيمانهم . وكانوا محتاجين أن يعتمدوا لمغفرة الخطايا ... وهنا نسأل : لماذا كانت الحاجة أن يقوم الرسل في ذلك اليوم بتعميد ثلاثة آلاف نفس (أع ٢ : ٤١) . وهي ليست عملية هينة . أما كان يكفي إيمانهم ١٩ ؟

٤ - والذي حدث في يوم الخمسين ، حدث لشاول الطرسوسي لما آمن . لقد سأل الرب : « ماذا تريد يا رب أن أفعل ؟ » (أع ٩ : ٦) .

فلم يقل له الرب : ما دمت قد آمنت فقد حصلت ! بل أرسله إلى حنانيا الدمشقي ، الذي قال له : « أيها الأخ شاول .. لماذا تتواشى ؟ قم اعتمد واغسل خطاياك » (أع ٢٢ : ١٦) . وهنا يرى عجباً ... إنساناً تقبل مع المسيح شخصياً ، وتكلم معه فماً لاذن ، وسمع دعوته ، وانتخه الرب إناء عتاراً ، وشهداً لجميع الناس ... ومع ذلك لم تكن قد اغتسل من خطاياك بعد ... ! وحتاج إلى المعمودية لغسل خطاياك .

أين إذن الخلاص في لحظة ١٩ إنه لم يحدث مع بولس الرسول نفسه الذي تحدث عن أهمية الإيمان في التبرير (رو ٥ : ١) .

٥ - نلاحظ هنا أن لزوم المعمودية للمغفرة ، هو جزء من قانون الإيمان ، الذي نقول فيه : « نؤمن المعمودية واحدة لمغفرة الخطايا » . وهذا هو الأمر الذي قرره الكنيسة الجامعة الرسولية ، في القرن الرابع الميلادي ، في المجمع لمسكوني المعظم . فهل أخطأ كل آباء الكنيسة في العالم كله ، في فهم المعمودية ؟

نقول هذا للذين يعتقدون بقدسية المحامع وقراراتها . أما الإخوة الباقون فتكفيهم آيات الكتاب السابقة . ونقول لهم أيضاً :

٦ - ما حدث لبولس ، حدث أيضاً لكريليوس ... إنه رجل أعمى شهد له الكتاب إنه « تقى وحائف الله » . وقد استحق أن يظهر له ملاك ويقول له : « صلواتك وصدقاتك صعدت تذكيراً أمم لله » . هذا طيب إليه الملاك أن يستدعي سمعان بطرس ، الذي كلمه والذين معه بكلمة الله ، فأمنوا ، وحل الروح القدس وتكلموا بالسنه (أع ١٠ : ٤٤) .

فلم يقل لهم بطرس : افرحوا وابتهجوا ، لقد خلصتم بايمانكم ، بل وأكثر من هذا حل عليكم الروح ومنحكم موهبة !! كلا ، بل قال : «أرى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضاً» وأمر أن يعتمدوا باسم الرب» (أع ١٠ : ٤٧ ، ٤٨) .

وهكذا لم يخلص كرنيليوس في لحظة . ولم يخلص بعيداً عن الكنيسة وأسرارها ، ولا بعيداً عن المعمودية وعن الكهنوت . إنما دخل من الباب الطبيعي الذي رسمه الرب ...

٧ - وبطرس الرسول أمر بعمد كرنيليوس وبنين معه ، لأن السيد المسيح أمر رسله بهذه المعمودية ، حينما أرسلهم قائلاً : « ذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (مت ٢٨ : ١٩) . والسيد المسيح لا يأمر بشيء ليست له أهمية أو ليست له فاعليته ، حاشا ... فالمعمودية لازمة لئلا يخلص حسب قول الرب .

٨ - بل قال السيد إن لدى لا يعتمد لا يدخل الملكوت ، إذ قال في حديثه مع نيقوديموس : « الحق الحق أقول لك : إن كان أحد لا يُولد من الماء والروح ، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) .

٩ - والمعمودية لازمة لأن بها المغفرة (أع ٢ : ٣٨) ، والغسل من الخطايا (أع ٢٢ : ٢٦) ، وصبب الإنسان العتيق ، والدخول في جدة الحياة (رو ٦ : ٤ ، ٥) . وأيضاً بها نلبس المسيح (عل ٣ : ٢٧) ، ونصير أولاد الله ، إذ نُولد من الماء والروح (يو ٣ : ٥) . وهي موت مع المسيح وقيامة معه (كو ٢ : ١٢ ؛ رو ٦ : ٢-٤) .

فإن كانت للمعمودية كل هذه المفاعيل ، فكيف يمكن للإنسان أن يخلص في لحظة إيمانه بدون عماد ؟!

وإن كان لابد له أن يعتمد ، فلا يمكن أن نقول إنه خلص في لحظة . لأن الإيمان والمعمودية لا يتمان في لحظة ، وهما لازمان للخلاص حسب قول الرب : «من آمن واعتمد خلص» (مر ١٦ : ١٦) .

وإن كان لابد لسعتمد من التوبة قبل المعمودية (أع ٢ : ٣٨) . فمن لحال أن

تم التوبة والإيمان المعمودية في لحظة .

أما إن كان الخلاص بمجرد قبول المسيح ، والميلاد الثاني بمجرد القبول ، فلماذا ذكر الكتاب كن هذه المفاعيل الروحية للمعمودية ؟!

١٠ - وهكذا نرى أن كل الذين آمنوا ، تعمّدوا فوراً ...

وهذا كان واضحاً مع الذين آمنوا في يوم الخمسين (أع ٢) ، ومع كرنيليوس (أع ١٠ : ٤٨) ، وكذلك ليديا بائعة الأرجوان (أع ١٦ : ١٥) ، وسجان فيليبى (أع ١٦ : ٥٣) ، وكريسيس رئيس لجمع (أع ١٨ : ١٨) ، والخصى الحشى (أع ٨ : ٣٨) .

فإن كان الإيمان وحده يخلص الإنسان ، فهل كانت المعمودية كل هؤلاء مجرد شيء زائد !! أما إن كانت ضرورية حسب أمر السيد المسيح ورسله ، فلا يكون الخلاص بالإيمان وحده ، ولا يكون في لحظة ...

١١ - هنا ونقول : ما أعجب رمز الخلاص في المعمودية ، باختلاص في عبور البحر لأحر من عبودية فرعون حيث قال موسى انبى : «قفوا وانظروا خلاص الرب» (خر ١٤ : ١٣) . ويصدق بولس الرسول هذا الأمر بقوله : «فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة ، وجميعهم اجتاروا في البحر . وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر» (١ كو ١٠ : ١ ، ٢) .

١٢ - وكما كان يرمز إلى المعمودية الخلاص في عبور البحر الأحمر ، كان يرمز إليها أيضاً الختان ، الذى كان شرطاً للدخول في عضوية شعب الله في العهد القديم (تك ١٧) .

يقول «تقيس بولس الرسول لأهل كولويسى عن السيد المسيح » «وبه أيضاً ختتم ختاناً غير مصنوع بيد ، بجمع جسم خطايا البشرية ، بختان المسيح ، مدفونين معه في المعمودية التى فيها أقمتهم أيضاً» (كو ٢ : ١١ ، ١٢) .

هل، جازعاً بالنعمة ؟

الذين يحايون معمودية الماء ، يحاولون أن يهربوا من كلمة « الماء » بكافة لطرق ، فينكرون معمودية الماء . وذلك أن يتحدثوا عن معمودية أخرى ، يسميها بعضهم معمودية الروح ، و يسميها البعض معمودية النار . بينما لم يتحدث بكتاب إلا عن معمودية واحدة ، كما قال القديس بولس الرسول في رسالة إلى أفسس : « رب واحد ، إيمان واحد ، معمودية واحدة » (أف ٤ : ٥) .

فما هي هذه المعمودية الواحدة التي يقصدها الكتاب ؟

إننا نقول : معمودية الماء وروح وبها يُولد الإنسان ميلاداً جديداً ، حسب قول الرب : « إن كان أحد لا يُوب من الماء والروح ، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) . ولكنهم يقدمون اعتراضاً على مفهوم الماء ، وهو :

إعتراض

يقولون إن الماء هو الكلمة . وميلاد الإنسان من الماء ، يعني أنه يُولد من الكلمة ! ويستدلون بالآتي :

١ - يقولون في علاقة المسيح بالكنيسة التي قال عنها الرسول : « مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة » (أف ٥ : ٢٦) ... إن عبارة الماء هنا تعني الكلمة !

٢ - يعتمدون أيضاً على قول بھرس الرسول : « مولودين ثانية ، لا من زرع يعنى ، بل من الماء ، بكلمة الله » (١ بط ١ : ٢٣) !

٣ - وأيضاً قول يعقوب الرسول : « شاء فولدنا بكلمة لحق » (يع ١ : ٢٨) . وهنا يرون أن الميلاد بالكلمة !

الرد على الاعتراض

عبارة « مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة » (أف ٥ : ٢٦) ، لا تعنى إطلاقاً

- لغوياً أو لاهوتياً - أن غسل الماء هو الكلمة...! لأن الرسول لم يقل: «بغسل الماء الذي هو الكلمة»!، بل بغسل الماء بالكلمة.

١ - ومعنى هذا أن غسل الماء جاء نتيجة للكلمة .

فبطرس تكلم في يوم الخمسين ، فلم يقتل اليهود من خطاياهم ، ولم يتطهروا من خطاياهم بالكلمة ، وإلا ما كان يقول لهم : «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لمغفرة الخطايا» (أع ٢ : ٣٨) . إذن على الرغم من الكلمة ومن تأثيرها ، إذ كانوا قد نخصوا في قلوبهم وآموا ، وطلبوا الإرشاد (أع ٢ : ٣٧) إلا أنهم ما كانوا قد تطهروا بعد من خطاياهم . وانتظروا المعمودية الماء لمغفرة الخطايا . وفي ظل ما حدث يوم الخمسين ، نسأل عن معنى «مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة» فنصل إلى الآتي :

٢ - الكلمة - أى الكرازة - توصل إلى الإيمان . والإيمان يوصل إلى المعمودية . والمعمودية توصل إلى مغفرة الخطايا ، أى إلى التطهير من الخطايا .

نفس الوضع حدث مع شاول الطرسوسي . هنا الكلمة جاءت من رب المجد نفسه ، وليس من رسول ، ولا من أى إنسان . ومع ذلك لم يش التطهير بمجرد الكلمة . فالرب أرسله إلى حنانيا . وحنانيا قال له : «أيها الأخ شاول.. لماذا تتوكل ؟ قم اعتمد واغسل خطاياك» (أع ٢٢ : ١٦) . فإن كان قد اغتسل من خطاياها بالكلمة ، ما كانت حاجته إذن إلى أن يغتسل في المعمودية ؟! ولكننا نقول إن الكلمة أوصلته إلى الإيمان ، ثم إلى المعمودية ، حيث اغتسل من خطاياها .

وهنا نفهم معنى عبارة : « ولدنا بكلمة الحق » .

٣ - « ولدنا بكلمة الحق » لا تعنى ولادة مباشرة من الكلمة ، إنما تعنى ولادة غير مباشرة بتوسط الإيمان والمعمودية .

وكما أن كلمة الإيمان لم ترد هنا ، في هذه الآيات ، كذلك كلمة المعمودية لم ترد . هل اعتبار أن لكلمتين تفهماً نفساً ، ولا حاجة إلى إيرادهما في كل مرة ..

ولا أقل أن أحداً من خوتنا لبروتستانت يفهم أن عبارة « مولودين ثانية ... بكلمة الله » أو « بكلمة الحق » ، تعنى مجرد الكلمة بدون إيمان !!

٤ - فإن كان بفهم عبارة « الإيمان » ضمناً ، فليفهم أيضاً عبارة « المعمودية » ضمناً . باعتبار أن « حذف المعلوم جائز » .

والأ فكيف يفهم قول الرب : « من آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) ؟
هنا ونذكر أن الرب قال بعدها : « ومن سم يؤمن يُدب » ، ولم يذكر المعمودية ، لأنه لا معمودية لمن لا يؤمن . الذي لا يؤمن ، سوف لا يطلب المعمودية . والذي لا يؤمن ، لا نسمح له بكنيسة بالمعمودية .. ملا داعي لأن يقول الرب : من لم يؤمن ولم يعتمد ، يدان .

٥ - الكلمة إذن أولاً . والإيمان والمعمودية بعدها ، كنتيجتين . وإذا اعتمد الإنسان ينال البنوة ، باعتباره مولوداً من الماء والروح ، حسب قول الرب (يو ٣ : ٥) .

وبهذا يعتبر نفسه مولوداً بالكلمة ، لأنه لولاها - كقطة البدء الأساسية - ما كان يصل إلى شيء من كل هذا ، وما كان يخلص ...! وهب نحاول أن نفهم قول الرسول :

٦ - « لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص » (رو ١٠ : ١٣) .

هل هنا الخلاص مجرد أنه يدعو باسم الرب ، وننسى كل الخطوات السابقة ؟
كلا . فهذا هو أسلوب الحرفية ، وأسلوب فصل الآية عن اجزائها التي قبلت فيه ، وحذف كل ما سبقها !! ولا شك أن هذا أسلوب لا يتفق مع روح الكتاب إطلاقاً !

ونلاحظ في هذه الآية (رو ١٠ : ١٣) إنه لا حديث عن الكلمة ، ولا عن الإيمان ...

إذن نقرأ كل ما قاله الرسول لنفهم الآية في الحرف الذي قبلت فيه . إنه يقول :
« لأن كل من يدعو باسم رب يخلص . فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به ؟ وكيف يؤمنون بمن لم يسمعون به ؟ وكيف يسمعون بلا كارز ؟ وكيف يكرزون إن سم يرسلو ؟ » (رو ١٠ : ١٣-١٥) .

٧ - وهكذا نجد أننا الرسول عن خطوات ضمنية ، لم تذكر في نص أو حرفية الآية . ولكنها تفهم ضمناً . والمقصود بهذه الآية أن الخلاص للجميع ، لكل من يدعو .

الدعاء باسم الرب يسبقه الإيمان . والإيمان يسبقه سماع الكلمة . وسماع الكلمة يعنى وجود كارتزين . والحديث عن الكارتزين يعنى وجود كنيسة ترسلهم ، لتكون كراتنهم شرعية .

وبالمثل نتحدث عن كل الخطوات الصمنية . فهنا لم يرد ذكر للتوبة ، ولكنها لابد أن تفهم ضمناً ، لأنه بدونها لا يخلص الإنسان بل يهلك (لوقا ١٣ : ٣) . وبالمثل لم يذكر المعمودية ، ولكنها لابد أن تفهم ضمناً أيضاً حسب قول الرب في (مر ١٦ : ١٦) . وهنا نقول :

٨ - لو كان غسل الميلاد الثانى بمجرد الكلمة ، لماذا قال المسيح لتلاميذه : « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم .. » (مت ٢٨ : ١٩) .

مادمات بكلمة كافية ، إذن تكفى التلمذة ، وهى خدمة واسعة لكلمة ، أكثر من مجرد بكلمة للإيمان . ما الداعى للمعمودية إذن ، إن كانوا قد نالوا الميلاد الثانى ، والغسيل والتطهير من خطاياهم ، بمجرد الكلمة ، بدون عماد !!

٩ - ولماذا أصر الحصى الحصى على العماد بعد الكلمة ؟

لقد كلمه فيلبس عن المسيح ، وبشره وأقنعه ، فأمن من قلبه أن يسوع المسيح هو ابن الله (أع ٨ : ٣٦ ، ٣٧) . ومع ذلك كانت المعمودية ضرورية له جداً .. فلماذا ، إن كان قد تطهر واغتسل ونال اجنوة بالكلمة ، حسبما يقولون ؟!

١٠ - مشكلة المحاربين لمعمودية الماء والروح ، إنهم يظنون أنها مجرد معمودية ماء ... كما لو كان ماء بدون روح ! فيستهينون لذلك بالماء !

ولكن الرب يقول : « يُولد من الماء والروح » (يو ٣ : ٥) . هنا عمل الروح في الماء ، حيث يقلس الروح القدس هذا الماء ، حتى ان كل من يعطس فيه ويقوم ، يكون قد وُلد من الماء والروح . هذا الذى قال عنه الرسون : « خلصناً بغسل الميلاد الثانى ، وتجديد الروح اقدس » (تى ٣ : ٥) . ولم ترد هت عبارة « الكلمة » .

وهذا الماء ليس هو الكلمة ، بل هو ماء حقيقى .

الماء حقيقى

١ - لا شك ان الماء الذى اعتمد به الخصى الحبشى هو ماء حقيقى ، إذ يقول الكتاب : « فأمر أن تقف المركبة ، فنزل كلاهما إلى الماء : فيليس والخصى ، فعصده . ولما صعدا من الماء ، خطف روح الرب فيمبس » (أع ٨ : ٣٨ ، ٣٩) . وقيل بعدها إن الخصى : « ذهب في طريقه فرحاً » . ولم يذكر هذا الفرح قبل العماد . لأنه مع قبوله الكلمة وإيمانه ، كان ينقصه شيء هو العماد ...

ولما الذى ذكر في قصة الخصى الحبشى لم يكن هو الكلمة طبعاً ، فالكلمة كانت قد أدت عملها قبل ذلك . حيث قيل إن فيبس « فتح فاه .. ونشره بيسوع » (أع ٨ : ٣٥) .

٢ - والماء في قصة كرنيليوس هو أيضاً ماء حقيقى .

ولم يكن هو الكلمة . فالكلمة قد سبقته في تبشير القديس بطرس له وللذين معه ، حتى آمن ، وحل عليه وعبهم الروح القدس ، وتكلموا بألسنة (أع ١٠ : ٤٤) . وحينئذ قال لقديس بطرس : « أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء ، حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن ؟ » (أع ١٠ : ٤٧) « وأمر أن يعتمدوا باسم الرب » .

وهنا نسأل عن أهمية المعمودية هؤلاء الذين آمنوا ، وحل عليه الروح القدس ، وتكلموا بألسنة ...

٣ - والسيد المسيح أيضاً حينما قال : « يُولد من الماء والروح » (يو ٣ : ٥) كان يقصد ماء حقيقياً ، وليس مجرد الكلمة .

وكان يقصد بهذا الماء الولادة الجديدة ، من فوق ، ومن لروح (يو ٣ : ٣ ، ٦) .

٤ - أحب بهذه المناسبة أن حيل القارىء العزيز إلى فصل طويل عن الماء ورموزه وبركته في كتابنا عن « خيس العهد » . الذى يشرح من أول عبارة « روح الله يرف على وجه المياه » (تك ١ : ٢) .

قول المعمودية للأطفال

مادامت المعمودية لازمة للخلاص ، كما شرحنا في بداية هذا الفصل ... وما دامت فاعلية المعمودية من الخطورة بحيث لا يستغنى عنها الإنسان ... لذلك كان من المهم أن لا نمنع الخلاص عن الأطفال ، ولا نمنع عنهم بركات المعمودية وفعاليتها ...

إعتراض

يقولون إن الإيمان شرط للمعمودية ، والأطفال لم يصلوا إلى وعى الإيمان ، لذلك لا يمكن تعميدهم .

وأصحاب هذا برأى لا يوافقون كليةً على معمودية الأطفال .

وهناك رأى يقول بعموديتهم ، على أن يملئوا إيمانهم حينما يكبرون ، وحينما تتفجر فيهم فاعلية المعمودية ...

الرد على الاعتراض

١ - لا بد أن نعمد الأطفال من أجل خلاصهم . لأننا لو تركناهم بدون معمودية وبدون إيمان ، فمضى ذلك هلاكهم ... ومن الذى يقبل على نفسه هلاك كل أطفال العالم ...

٢ - السيد المسيح أبدى اهتماماً خاصاً بالأطفال . وقال : « إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت الله » (مت ١٨ : ٣) . وقد احتضن الأطفال وباركهم . وقال : « دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم ، لأن لكل هؤلاء ملكوت الله . الحق أقول لكم : من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد ، فن يسخنه » (مر ١٠ : ١٤-١٦) .

إذن فهم يهبون الملكوت بطريقة يعوزنا عما كاتها . فكيف ؟

٣ - الطفل ليست لديه أية شكوك ضد الإيمان ، ولا أية مقاومة له . والله لا يطالبه بوعى يناسب الكبار .

٤ - وهو يحتاج أن يتربى في الإيمان ، داخل الكنيسة ، وينمو في هذا الإيمان .
فنحن نعمده لنعطيه أيضاً هذه الفرصة ، ولا نحرمه من كل وسائل النعمة التي تساعد
في الطريق الروحي ، والأ نكون كتمن يبنى عليه . كما لا نصنع كل أمور الإيمان داخل
مقياس العقلانية .

٥ - والطفل ليس محتاجاً أن يعلن إيمانه حينما يبلغ الرشد ، أو يبلغ الثانية
عشرة كما يقول البعض ، فهو يعلن إيمانه باستمرار في كل مراحل طفولته
الناطقية ، حسب قدرة سنه .

ويتساوى مع الطفل كل (بسطاء) من الناس ، الذين لم يدخلوا في نطاق
العقلانية التي تدرك بالذهن أشياء كثيرة . ولكن ربما لهم لروح الذي ينحصر كل
شيء حتى أعماق الله (١ كو ٢ : ١٠) .

٦ - أما من جهة قواعد الإيمان المعروفة ، فنحن نعمده على إيمان والديه .
والاعتماد على إيمان الوالدين في أمور عديدة ، أمر مألوف في الكتاب المقدس . ومن
أمشته : لختان ، وخلاص الأبقار بدم الحروف ، وخلاص الأطفال بعبور البحر...
إلخ .

ويمكن لقراءة من هذه الموضوع بتفصيل كبير في كتابنا عن المعمودية

٧ - أما قولهم عن تفجير مفاعيل المعمودية في سن معينة :

فإنت نقول : « ما هي هذه المفاعيل » ؟ وما الذي تحتاجه أو يحتاجه بعضها إلى
أن يتفجر في سن معينة

كون المعمودية موتاً مع المسيح وقيامه معه ، أمر لا يحتاج إلى سن ، فهو في صميم
عمل المعمودية كصبغة . وفاعلية المعمودية من حيث الميلاد ثنائي ، وغسل المعمد من
أخطية الأصلية والخطايا السابقة للمعمودية ... كل هذا لا يحتاج إلى سن معينة يتفجر
فيها . فهو يصير ابناً لله ، وتغفر له خطاياه ، وينال لتبرير والتجديد في نفس وقت
عماده . وكذلك يموت الإنسان العتيق ، ويولد إنسان جديد ، ولكنه حر .. ويلبس
المسيح (غل ٣ : ٢٧) .

إن وجد شيء آخر ، (تنفجر فيه مفاعيل المعمودية) ، فلعله أمر يتساوى فيه الكبير والصغير...

٨ - أما الرأي الذى يقول بخلاص الأطفال بدون المعمودية ، فهو رأى ضد تعليم لكتاب المقدس فى الفداء والكفارة وأهمية دم المسيح لخلاص... ولا يجد تأييداً من أحد...

٩ - الكنيسة كانت تعتمد الأطفال منذ البداية ، من عصر الرسل ، كما يتضح من صناد عائلات بأكملها ، كباراً وصغاراً ، كما قيل فى عماد سبجان ميلبي : «والذين له أجمعين» (أع ١٦ : ٣٣) ، وعمد ليديا بائعة لارحون «هى وأهل بيتها» (أع ١٦ : ١٥) ... ومن غير المعقول أن كل هؤلاء وأمثالهم لم يكن بينهم أطفال .

١٠ - لا توجد آية واحدة فى الكتاب المقدس تأمر بمنع المعمودية الأطفال .

التوبة وأهميتها للخلاص

١ - لا يمكن أن يوجد لاهوتى واحد فى العالم ، يقول إنه يمكن أن يخلص إنسان بدون توبة .

فعدم اتوبة معناه الارتباط بالخطية ، وبالتالي الانعصاف عن الله ، لأنه «أية شركة بين النور والظلمة ١٩» (٢ كو ٦ : ١٤) .

والخلاص بمعناه لسلیم ، هو الخلاص من الخطية وعقوبتها . والسيد المسيح لمخلص سُمى كذلك «لأنه يخلص شعبه من خطاياهم» (مت ١ : ٢١) . فمادامت هناك خطية ، لا يوجد إذن خلاص . لأن الإنسان لا يخلص وهو فى حياة خطية .

٢ - ويزوم التوبة لخلاص يظهر فى قول السيد لمسيح :

«إن لم تنوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون» (لو ١٣ : ٣٠) .

والتوبة مرتبطة بغفران الخطايا (أع ٥ : ٣١) .

وقد كان عمل المسيح على الصليب هو مغفرة الخطايا ، لأن هذا هو الخلاص الذي قدمه للعالم « فيه القداء ، بدمه غفران الخطايا » (كو ١ : ١٤) « الذي فيه لنا القداء ، بدمه غفران الخطايا » (أف ١ : ٧) .

ولا يمكن أن تغفر خطية ، ما زال الإنسان يرتكبها .

فإن تاب تغفر له ... وملكوت السموات لا يدخله غير التائبين . وكل الخطاة سيطرحون في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت (رؤ ١٩ : ٨) .

ويقول القديس بولس الرسول : « إن أخطأنا بأختيارنا ، بدم أحدنا معرفة الحق ، لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف ، وغيره نار عتيدة أن تأكل الضادين ... » (عب ١٠ : ٢٦ ، ٢٧) .

٣ - وآياؤنا الرسل ربطوا مغفرة الخطايا بالتوبة ، كما بالمعمودية .

وهكذا من أجل مغفرة الخطايا ، قال القديس بطرس للهيود في يوم الخمسين : « توبوا ، وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح ، لمغفرة الخطايا » (أع ٢ : ٣٨) .

٤ - يقول الكتاب ، في ارتباط التوبة بمغفرة الخطايا :

« توبوا وارجعوا لتمحي خطاياكم » (أع ٣ : ١٩) .

فهل إذا كان إنسان لا يتوب ، يستطيع أن يخلص وتمحي خطياه ؟ كلا بلا شك يقول الكتاب واضح . ولكن لعلك تقول : « إن خطايي تمحي بدم المسيح » ... نقول لك : لا أحد يختلف في هذا . ولكنك لا تستحق دم المسيح إن كنت تستمر في الخطية ولا تتوب . ودم المسيح لا يشجع على البقاء في الخطية . إذن توبوا وارجعوا لتمحي خطاياكم بدم المسيح .

٥ - والكتاب لا يطلب منا التوبة فقط ، وإنما يقول :

« اصنعوا ثماراً تليق بالتوبة » (مت ٣ : ٨) .

وأيضاً : « أصملاً تليق بالتوبة » (أع ٢٦ : ٢٠) ... بل إن الرسول يوبخنا إن قصرنا في التوبة فيقول : « لم تقاوموا بعد حتى الدم ، مجاهدين ضد الخطية » (عب

١٢:٤). ومن حين التوبة «مصارعتك ليست مع لحم ودم.. بل مع اجناد الشر الروحية» (أف ٦). وفي هذا يقول لنا الرسول: «قاومو إبليس فيهرب منكم» (يع ٤:٧).

٦ - وفي ارتباط لتوبة بالخلاص قال الرسول لاهل كورنثوس ، لما أحزنهم بتوبيخه: «أحزن الذي بمشيئة الله يشيء توبة لخلاص بلا ندامة» (٢ كو ١٠:٧).

٧ - ولما كان لإنسان في كل يوم يخطيء ، وأجرة الخطية هي موت (رو ٢٣:٦). ويحتاج إلى الخلاص من هذا الموت.

لذلك هو محتاج إلى التوبة ، ليخلص من هذا الموت .

لأن لسيد المسيح يقول : « إن لم تتوبو ، فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣:٣).

٨ - ولعل البعض يقول : " إن لتوبة ليست ثمناً للخلاص ، فالخلاص ثمه هو دم المسيح..." أقول لك :

حقاً ان الخلاص ثمنه دم المسيح . ولكن دم المسيح لا يحمو إلا خطايا الذين تابوا .. التوبة إذن ليست هي الثمن ، إنما هي وسيلة . وبدونها لا يستحق الدم الكريم .

٩ - ولما كان الإنسان يخطيء كل يوم ، ويحتاج إلى التوبة كل يوم ، إذن فالتوبة تصبح كل حياته ليخلص من خطياه . وبالتالي لا يكون الخلاص في لحظة .

إنها حرب روحية تستمر مدى الحياة . « والصديق يسقط سبع مرات ويقوم » (أم ٢٤:١٦) . والقديس بوس الرسول يقول : « أقمع جسدي واستعده ، حتى بعدما كرزت للآخرين ، لا أصير أنا نفسي مرفوضاً » (١ كو ٩: ٢٧) .

فإن كان الرسول العظيم يتكلم هكذا ، فهل أنت أعظم من بوس الرسول ... حتى تقول إنك خلصت وضمنت اسكوب ... ولا تقول هذا بجهاد العمر كله ، وإنما تقول خضعت في لحظه !!

١٠ - التوبة لازمة إذن للخلاص . ولكن التوبة في مفهومنا الأرثوذكسي تختلف عن التوبة في المفهوم البروتستانتي .

التوبة في المفهوم الأرثوذكسي

لكن ندعى بالتوبة . لا يبدل في أهميتها أحد .

ويكن التوبة عند الأرثوذكس شيء . وعند البروتستانتية شيء آخر، من جهة ماهيتها ومعناها وتامها، ولزومها للخلاص، وما يتعلق بها من أمور أخرى .. وستناول الآن هذه خلافات واحداً فواحداً .

التوبة ستركتسي

لتوبة في المفهوم الأرثوذكسي هي سرّ من أسرار الكنيسة السبعة، اسمه (سر التوبة) . أما الطوائف البروتستانتية وهي لا تؤمن بأسرار الكنيسة - فلا تنظر إلى التوبة كسرّ مقدس، إنما كمجرد مشاعر داخل قلب الإنسان من ندم على الخطية، وعزم على تركها .

إذن هناك فارق بين (التوبة) و (سر التوبة) .

وهذا الفارق دلالاته ، ونتائج لاهوتية ، التي سنذكرها الآن :

التوبة والاعتراف :

التوبة في المفهوم الأرثوذكسي تحمل ضمن أساسياتها الاعتراف على لأب الكاهن بالخطايا ، حسب قول الكتاب : « من يكتفم خطاياهم لا يحج ، ومن يقر بها ويتركها يرحم » (أم ٢٨ : ١٣) . وقد مارس النيس الإقرار بالخطية (الاعتراف بها) في العهد القديم (لا ٥ : ٥) . واستمر ذلك حتى فترة ما بين العهدين ، فكانوا يأتون إلى يوحنا المعمدان «وعتمدوا منه في لأردن معترفين بخطاياهم» (مت ٣ : ٦) . ومارسوا الاعتراف في العهد الجديد أيضاً (أع ١٩ : ١٨) .

أما الطوائف البروتستانتية ، فلا تدخل الاعتراف في نطاق التوبة ، بل تهاجمه .
وهي في ذلك على نوعين :

أ - نوع يهاجم الاعتراف علناً ، ويهاجم معه الكهنوت أبصاً :

وهذا النوع هو الأصعب . لأنه مكشوف ، يحترس منه الدبتون في العقيدة . كما
أن آراءه ظاهرة يمكن الرد عليها .

ب - والنوع الثاني لا يهاجم الاعتراف ، ولا الكهنوت ، ولا تناول . ولكنه
ينسبها للناس ، بعدم الحديث عنها ، وبتقديم بدائل لها .

كما ورد في مجنة (اليسوع) : [هل نحب أن نتبرر لأن ؟ ماذا يمتنع ؟ لا شيء ...
إنها فرصة العمر أن تأتي كما أنت . وتقبل الرب يسوع ، فنبير في خطات] !! (١ :
ص ١٣) .

وورد فيها أيضاً : [تتطلع إلى حمل الله ، وتضع عنه كذمك وخطاياك . وتتعلق
أنت حراً . إلق كل احمالك عليه ، وستمتع بعفرائه] !! (١ : ص ١٧) .

وورد فيها كذلك : [هذا هو ثمن لتبرير : لقد مات البار ، وسدد دين الخطية
كله إلى الأبد . إن قلبه اليوم ، تحصل على البراءة ، وتخرج من محضره حراً من كل
دين] (١ : ص ١٢) .

وبنفس المعنى قولها عن المسيح : [إن استطعت أن براه وهو يصنع بواسطة
الجندي الروماني ، فسوف تتبرر في لحظة واحدة] (١ : ص ١٠) .

وفي كل هذه الأمثلة ، يناد الإنسان التبرير والعفوان ويتخلص من جميع خطايه ،
بدون الاعتراف ، وبدون لتحليل ، بمجرد قبول لمسيح ، أو استطاع إليه !! وبدون
الأسرار الكسبية .

ومثال ذلك ما ورد في إحدى المحلات القبطية ، التي دخلت فيها هذه الروح ،
تحت عنوان [اختبارات روحية] ... وفي كل ذلك ، لا حديث عن الأسرار ، كأن لا
أهمية لها ، وتقديم بدائل من كلام له طابعه الروحي ، ويغنى خطورة لاهوتية ...

إنه طريق غير مكشوف ، وواجباً أن نكشفه للناس ، ليحترسوا .

وهذا الأسلوب هو ما يميز البذات غير الأرثوذكسية .

التوبة والكنيسة:

بينما تقدم البروتستنتية التوبة كمجرد عمل فردي داخل قلب، تصيف الأرثوذكسية إلى ذلك عمل الكنيسة ولأسرار والكهنوت. وهذه الثلاثة لا تعرض لها الكتابات التي تهجم لعقائد الأرثوذكسية، وبها تميز التبادلات.

أما الأرثوذكسية فتقدم في التوبة: لتحليل من فم الكاهن، حسب قول لرب لرجال الكهنوت: «أقبلوا الروح القدس، من عمرتم خطاياهم تغفر له. ومن أمسكتوها عليه أمسكت» (يو ٢٠: ٢٢، ٢٣). ومع لتحليل، يوجد لارشاد الروحي من أب الاعتراف، والسماح بالتناول من الأسرار المقدسة.

التوبة والخلاص:

الأرثوذكسية ترى التوبة لازمة لخلاص، حسبما ذكرنا قبلاً.

أما لبروتستانت، ففي التركيز على أهمية الدم في موضوع الخلاص، يسون الكلام عن التوبة، أو يصنعونها تحت عنوان «لتقديس» دون التركيز على دورها في الخلاص...

وابعض يصنعون كلمة الخلاص مكان كلمة لتوبة. فإن كان إنسان مدمناً على الخمر أو القمار مثلاً، وتأثر بعظمة وتاب، يقولون إنه خلص في تلك اللحظة! ويرى يعود إلى ذلك. وقد يبطن هذا لشخص الخمر والقمار بصفة دئمة، وتكون له خطايا أخرى لم يخلص منها...

التوبة والنعمة:

في التوبة يركز البروتستانت على عمل النعمة، ويرون كل جهاد الإنسان لا قيمة له! يكفي أن يلقي بنفسه عند قدمي المسيح، فيخلصه من جميع خطاياهم، دون عمل منه!

أما التعليم الأرثوذكسي ، ففيه الحياة الروحية هي شركة مع الروح القدس :
الروح يعين ، والنعمة تعمل ، والإنسان يجاهد .

وإن لم يجاهد ، يبيته الرسول بقوله : « سم تقاوموا بعد حتى الدم ، مجاهدين ضد الخطية » (عب ١٢ : ٤) . ولكذب المقدس يصور لنا الحياة الروحية ، حرباً مع أجناد الشر الروحية ، تحتاج إلى سلاح الله الكامل (أف ٦) . ولابد للإنسان أن ينتصر في هذه الحرب لينال المكافأة . والسيد المسيح في رسالته إلى ملائكة (رعاة) الكنائس السبع ، كثر عبارة : « من يقبل ... » سبع مرات ، كشرط لسعي لا يبدى (رؤ ٣ ، ٢) .

إن النعمة لا تعمل وحدها كل شيء ، والأما كان الله يقول عن التوبة :
« ارجعوا إليّ ، أرجع إليكم » (ملا ٣ : ٧) .

وقد كتبنا عن هذا الموضوع باباً كاملاً في كتاب « الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي »
يمكن الرجوع إليه ... وخلاصة الأمر هي :

نركز البروتستانتية على الجانب الإلهي وحده ، في التوبة ، وفي الخلاص ،
وتهمل الجانب البشري تماماً .

التوبة واختبارات

إنهم يعتبرون التوبة اختباراً . ويشجعون التائبين أن يحكوا اختباراتهم في
الاجتماعات أمام الناس . فتسمع منهم عبارات : ' أنا كنت (كذا) ... وصرت
(كذا) .. ' . ويظل يسرد خطايا شعبة بلا حجل ... مغطياً إياها بما وصل إليه من
نعمة !!

أما لأرثوذكسية فلا توافق على سرد هذه القصص ، لأنها غاساً ما تحمل افتخاراً
بالتغير الذي وصل إليه التائب . وقد يتأذى البعض من سماع الخطايا التي يعلنها
(التائب) بلا حجل ..

التوبة بين الفرحة والحنين :

تعم الأرثوذكسية بوجوب إنسحاق التائب ، متذكراً ما أساء به إلى الله ، مبللاً فراشة بدموعه كما فعل دود لنبي . أم البروتستانتية فتدفع الناس إلى فرح لا إنسحاق فيه ... بل كثيراً ما يتحول التائب حديثاً إلى خادم ، بطريقة مباشرة ، لا تعطيه فرصة لمحزن الداخل على خطايه !

و يمللون ذلك بوجوب الفرح بالخلاص « امنحنى بهجة خلاصك » (مز ٥٠) ، بينما بولس الرسول تحدث عن فوائد الحزن على الخطية (٢ كو ٧) .

ولا ننسى أنه - في تناول حروف الفصح - وسط فرح لشعب بخلاصه من سيف لهث ، كان يأكل لمصع على أعشاب مرة ، حسب أمر الرب (حز ١٢ : ٨) . والأعشاب المرة كانت تذكرهم بحطائهم ، التي بسببها وقعوا في عبودية فرعون . الفصح يذكرهم بالخلاص وبهجتهم . ولكنه يؤكل على أعشاب مرة .

فما هو مركز (لأعشاب مرة) في التوبة بالمفهوم البروتستانتي ؟ وما مركز إنسحاق يقب ودموع التوبة ؟

التوبة والتجديد :

إن ما نسميه في الأرثوذكسية (توبة) ، كثيراً ما يسميه البروتستانت تجديدًا ، أو ولادة جديدة ، أو خلاصاً .. !

فلسألون التائب : هل تجددت ؟ هل خلصت ؟ هل اختبرت الولادة الجديدة ؟ ويكون كل ما يقصدونه هو عمية توبة ، لا أكثر ولا أقل ، قد مر بها هذا لشخص ... !

في المفهوم الأرثوذكسي ، كل هذه التعبيرات : التجديد ، الولادة الجديدة ، الخلاص ، تتم في سر المعمودية . أما التوبة فهي عملية تغيير في سلوك الإنسان .

على أنما نفرق بين تحديد طبيعة مدى يحدث في المعمودية ، وتحديد الذهن (رو ١٢ : ٢) الذي يحدث في التوبة .

التوبة والسلوك والأعمال :

البروتستانتية ، لا ترى الحياة المسيحية حياة سلوك وعمل ، بل حياة نعمة وإيمان . وأما الأرثوذكسية فإلى حوار الإيمان والنعمة ، تضيف السلوك والأعمال كثمر لهما ، يدل عليهما .

فالكتاب يقول : « اصنعوا ثماراً يليق بالتوبة » (مت ٣ : ٨) « وأعمالاً تليق بالتوبة » (أع ٢٦ : ٢٠) ويقول : « وأنا أريك بأعمال إيماني » (يع ٢ : ١٨) . كما يقول القديس يوحنا الرسول : « من قال إنه ثابت فيه ، ينبغي أنه كما سلك ذلك يسلك هو أيضاً » (١ يو ٢ : ٦) « إن سكننا في النور كما هو في نور ، فننا شركة بعضنا مع بعض ، ودم يسوع بنه يطهرنا من كل خطية » (١ يو ١ : ٧) .

إذن أهمية السلوك والأعمال ، تعليم كتابي ...

إن التطهير يتم بالدم ، ولكن على أساس التوبة والسلوك في امور ، حسب تعميم قديس يوحنا الرسول (١ يو ١ : ٧) .

دور الكنيسة في نيل الخلاص

إن الخلاص عظيم الذي قدمه سيد المسيح على الصليب، تنقله الكنيسة بعمل الروح القدس فيها إلى الناس. وذلك بتكليف من اسيد المسيح نفسه. وذلك عن طريق ثلاثة أمور هي: خدمة الكلمة، وخدمة الأسرار، وخدمة لمصاحبة، والرعاية...

خدمة الكلمة

أخوتنا الروتسنتات يركزون في الخلاص على الإيمان. وكيف يصل الإيمان إلى الناس إلا عن طريق الكنيسة؟

وفي هذا يقول الرسول: «كيف يؤمنون من لم يسمعوا به؟ وكيف يسمعون بلا كارز؟ وكيف يكررون إن لم يرسلوا؟» (رو ١٠: ١٤). والكنيسة هي التي ترسل الكارزين، بعد أن تضع عليهم اليد، وهي التي تنشر الإيمان، الذي بدونه لا يخلص أحد...

إذن الكنيسة لها دور أساسي في الخلاص عن طريق نشر الإيمان، بالكرارة وخدمة الكلمة...

وهذه الخدمة تسلمتها كنيسة من فم المسيح نفسه، الذي قال لابائنا الرسل: «ادهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم... وعموهم أن يحفظوا جميع ما وصيتكم به» (مت ٢٨: ١٩) «ذهبوا إلى العالم أجمع، واكرزوا بالإنجيل للخليفة كلها» (مر ١٦: ١٥).

بهذه الكرزة أوصت الكنيسة لإيمان الناس، وبدونها ما كان ممكناً أن يخلصوا. ولذلك حرص بررس على هذه الخدمة. وفي سياحة الشماسة اسبعة قالوا: «وأما نحن فنعكف على الصلاة وخدمة الكلمة» (ع ٦: ٤).

وقد جعل الرب خدمة الكلمة الموصلة للخلاص من إختصاص الكنيسة، ولم يعهد بها حتى للملائكة.

ففى قصة هتداء كريلبيوس ، أرسل له الله ملاكاً . وكان يمكن لهذا الملاك أن يبشر كريلبيوس برسالة الخلاص . ولكنه لم يفعل ذلك ، إنما أحاله إلى الكنيسة المؤقتة على هذه الخدمة . وهكذا قال له : « أرسل إلى ياغا رجلاً ، واستدع سمعان الملقب بطرس » وماذا تكون مهمة بطرس هذا ؟ قال الملاك فى ذلك :

« وهريكلملك كلاماً به تخلص أنت وأهل بيتك » (أع ١٠ : ١٤) .

وصارت هذه مهمة من عمل الكنيسة ، أعنى خدمة التعليم ، وتفهم الناس قواعد الإيمان وتعريفهم بطريق الخلاص . وهكذا قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس الأسقف :

« لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك . فانك إن فعلت هذا ، تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً » (١ تى ٤ : ١٦) .

إذن التعليم هو من وسائل الخلاص . والكنيسة هى التى اؤتمنت على التعليم ، بحسب قول الرب : « وعلموهم جميع ما أوصيتكم به » (مت ٢٨ : ١٩) . وهكذا قال بولس الرسول : « إذ الضرورة موضوعة علىّ ، فويل لى إن كنت لا أبشر .. فقد استؤمنت على وكالة » (١ كو ٩ : ١٦ ، ١٧) . وكان اخلاص هو هدف التبشير ، لذلك يقول ارسول بعد ذلك :

« ... لأخلص على كل حال قوماً ... » (١ كو ٩ : ٢٢) .

ومن طريق الكرازة وخدمة الكلمة ، استطاع فيلبس أن يقود الخصى الحيشى إلى الإيمان لكى يخلص (أع ٨) . وخدمة الكلمة فى يوم الخمسين ، أمكن أن تخلص ثلاثة آلاف نفس (أع ٢ : ٤١) .

وخدمة الكلمة لا يقوم بها إلا المرسل من الكنيسة ، لذلك لما دعا الروح القدس برنابا وشاول هذه الخدمة أحاطهما إلى الكنيسة .

وقال الروح القدس : « افرزو لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه » (أع ١٣) . إنها دعوة من الروح القدس . ولكن لا بد أن تمر عن طريق الكنيسة من

خلال القنوت الشرعية التي عهد لها الله بهذه خدمة : «صعدوا حيثن وضعوا
عليهما الأيادي وأطلقوا سلام» . وهكذا عملا في خدمة الكنيسة (أع ١٣ : ٢ ، ٣)
وخدمة الكلمة ليست كل شيء في عمل الكنيسة من جهة الخلاص ، إنما هناك
أنشأ خدمة الأسرار .

خدمة الأسرار

الكنيسة تقدم الخلاص عن طريق خدمة أسرار الكنيسة المقدسة .

١ . وفي مقدمة هذه الأسرار سر المعمودية ، الذي قال فيه الرب : «من آمن
واعتمد خلص» (مر ١٦ : ١٦) ، ولدى أمره الكنيسة حينما قال لأبائنا برسل :
«اذهبوا وتبشروا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت
٢٨ : ١٩) .

ولذلك فإن الرسل ، حالما آمن اليهود في يوم الخمسين ، عمدوهم لمعمودية
(أع ٢ : ٤١ ، ٣٨) .

ولا شك أن مغفرة الخطايا التي تأتي بالمعمودية لازمة للخلاص .

وهكذا عمدوا أيضاً اخضى الحبشى (أع ٨) وكريستوس وجميع الذين كانوا
يسمعون الكلمة معه (أع ١٠) وعمدوا أهل السامرة (أع ٨) ، وعمدوا سجان فيلبس
والذين له أجمعون (أع ١٦) وكذلك ليديا بائعة الأرجوان هي وأهل بيتها (أع ١٦) .

وما زالت الكنيسة بالمعمودية تنقل الخلاص إلى الناس ، إذ يدفنون فيها مع
المسيح ويقومون معه . يموت إنسانهم العتيق (رو ٦) ويلبسون المسيح في
المعمودية (غل ٣ : ٢٧) .

وقد شرحنا في بداية هذا الفصل فاعلية المعمودية وعلاقتها بالخلاص . وفيه
تعطيه الكنيسة مغفرة الخطية الأصلية والخطايا السابقة للمعمودية ، عن طريق
استحقاقات دم المسيح ، وتصبرهم أولاداً لله (يو ٣ : ٥ ؛ تي ٣ : ٥) .

٢ . ولكن الناس يخطئون بعد معموديتهم ، ويحتاجون إلى الخلاص من عقوبة
هذه الخطايا . وهنا تقدم لهم الكنيسة سر التوبة ، وسر الافخارستيا ، لمغفرة
خطاياهم .

وذلك بالسلطان الممنوح للكنيسة في قول السيد المسيح : « من غفرتم خطاياهم تغفر له . ومن أمسكنم خطاياهم أمسكت » (يو ٢٠ : ٢٣) . وقوله : « ما تحملونه على الأرض يكون محلولاً في السماء . وما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء » (مت ١٨ : ١٨) .

أى فرح للمؤمن أن يأخذ حلاً من خطاياهم ، بسلطان معطى من السيد المسيح نفسه . وهناك ينال المغفرة .

ونفس المغفرة ينالها في سر الافحارسينا ، الذى نقول عنه في القداس الإلهي : « يُعطى عنا خلاصاً ، وغفراناً لخطايانا ، وحياة أبدية لكل من يتدبر منه » . وذلك بناء على قول السيد المسيح لتلاميذه حينما سمعهم هذا اسر (جسده ودمه) «للمغفرة الخطايا» (مت ٢٦ : ٢٨) . وحسب قوله لليهود : « من يأكل جسدى ويشرب دمي ، فله حياة أبدية » (يو ٦ : ٥٤) و« يثبت فيّ وأنا فيه » (يو ٦ : ٥٦) .

٣ - والكنيسة تساعد الناس على الخلاص بسكنى الروح القدس فيهم ، وتعطيهم ذلك عن طريق سر المسحة المقدسة (١ يو ٢ : ٢٠ ، ٢٧) .

وكان هذا السر العظيم ، نمحه الكنيسة في بادئ الأمر عن طريق وضع اليد (أع ٨ : ١٧ ؛ أع ١٩ : ٦) .

ومادام بدون الروح القدس ، لا يستطيع إنسان أن يحيا حياة روحية ، ولا أن يتبكت على خطية ، إذن فتمنح هذا السر عن طريق الكنيسة له عمله الخلاصى لعميق .

٤ - وكل هذه الأسرار المقدسة المؤدية إلى الخلاص ، تقدمها الكنيسة عن طريق سر آخر هو سر الكهنوت .

وهكذا ندرك أهمية الكنيسة والكهنوت في قصية الخلاص .

حقاً إن خلاص قد تم على الصليب بالفداء بدم المسيح . ولكن نقل هذا الخلاص إلى الناس تقوم به الكنيسة عن طريق الكهنوت ولأسرار المقدسة ...

وبالإضافة إلى هذا تقوم لكنيسة بالرعاية وخدمة المصاحبة .

الرعاية وخدمة المصالحة

كل مؤمن معرض أن يضل عن الطريق ، فعن يفتقده ويرعاه ، ويرده إلى الطريق ، إلا الكنيسة التي تقود المؤمنين في حياة التوبة ، وبالتالي في طريق الخلاص ، حسب قول الكتاب :

« من رد خاطئاً عن ضلال طريقه ، يخلص نفسه من الموت ، ويستر كثرة من الخطايا » (يع ٥ : ٢٠) .

وبهذا العمل ، تخلص لكنيسة نفوساً من الموت ، تخصمهم من موت الخطية عن طريق الإرشاد ، وعن طريق الاعتقاد ، وعن طريق الهدية . وهكذا تعمل على مصالحتهم مع الله ... هذه المصالحة التي قال عنها القديس بولس الرسول :

« وأعطانا خدمة المصالحة . نسعى كسفراء عن المسيح ، كأن الله يعظ بنا . نطلب عن المسيح : نصالحوا مع الله » (٢ كو ٥ : ١٨ ، ٢٠) .

ويمكن أن تدخل هذه المصالحة تحت سر التوبة .

ولولا أهمية هذا العمل لخلاص أنفس الناس ، ما كان الكتاب يقول إن لله أعطى البعض أن يكونوا رعاة ... لعمل الخدمة لبيان جسد المسيح (أف ٤ : ١١ ، ١٢) وما كان يقول لبطرس : « ارج غنمى ، ارج خرافى » (يو ٢١ : ١٥ ، ١٦) .

عمل الرعاية هذا يقوم به الكهنوت في الكنيسة :

وهكذا قال بولس الرسول لأساقفة أفسس : « احترزوا إذن لأنفسكم وجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة ، لترعوا كنيسة لله التي اقتناها بدمه » (أع ٢٠ : ٢٨) .

أترى كان يتم الخلاص بدون عمل الرعاية ؟ محال ...

هوذا الإنجيل يقول عن الغنم التي لا راعي لها إن الرب « لما رأى اجموع تحزن عليهم ، إذ كانوا متزعجين ومنطرحين ، كغنم لا راعي لها » (مت ٩ : ٣٦) . وهؤلاء ما أسهل أن يفتك بهم العدو ، ويفقدون الخلاص .

إن الخلاص لا يمكن الحصول عليه بدون الكنيسة .

الفصل الثالث

الأعمال

ومسرفات في موضوع الخلاص

إعتراض

الذين يتادون بالخلاص في لحظة ، يقولون إن الخلاص هو بالإيمان وحده ،
الذى يمكن نواله في لحظة !! لذلك هم ينكرون كل مفعول للأعمال ،
ويعترضون على إدخالها في موضوع الخلاص ، الذى تم بدم المسيح وحده ...

وهم يقدمون لإثبات رأيهم آيات كثيرة من الكتاب منها :

« لما ظهر لطف مخلصنا الله وحسانه ، لا بأعمال في بر عمداه ، بل بمقتضى
رحمته خصنا ، بحسب الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (تى ٣ : ٥) .

« لأنكم بالنعمة مخلصون ، بالإيمان ، وذلك ليس منكم ، هو عطية الله . ليس من
أعمال كي لا يفتخر أحد .. » (أ ف ٢ : ٩) ...

الرد على الاعتراض

١ - إننا نسأل الذين يركزون على الإيمان ، ويرفضون الأعمال كلها :

أى أعمال تقصدون ؟ هناك ستة أنواع من الأعمال :

- أ - أعمال الناموس التى هى مجرد ممارسات طقسية .
- ب - أعمال قبل الإيمان ، أى لأعمال لصالحة لتى للأمم .
- ج - أعمال بشرية فقط ، لا يشترك الله فيها .
- د - عمل الروح القدس فى الأسرار .
- هـ - أعمال صالحة هى شركة مع لروح القدس .
- و - أعمال لله وحده ، وطريقة أستحقاقها .

فعلينا أن نفحص كل هذه الأنواع الستة ، ونرى ما هى أنواع الأعمال التى
يرفضها الكتاب ؟ وما هى الأنواع اللازمة من الأعمال ولتى بدونها لا نخسر ، إذ
أن الإيمان بدون أعمال ميت .

٢ - هنا ونسأل : لماذا ركز الرسول على موضوع الإيمان ؟

لقد ركز عليه في الكلام مع غير المؤمنين من اليهود والأمم ، أوفى الكلام عنهم ، حتى تظهر أهمية الفداء بدم المسيح .

لأنه بدون الإيمان لا يمكن أن يخلص أحد من هؤلاء مهما كانت أعمالهم . ولأن الإيمان هو النقطة الصعبة إذ هي تغيير الدين . فإن قبيح سيقتبون كل ما بعدها كالمعمودية والتوبة والتناول . فالذي يقبل المسيح سيقبل كل تعاليمه ...

لهذا مع اليهود والأمم - ركز الرسول على الإيمان ويس أعمالهم :

لمن جهة اليهود ، هاجم أعمال الناموس بدون إيمان .

ومن جهة الأمم ، هاجم أعمالهم الصالحة بدون إيمان .

أما الأعمال الصالحة إذا اضيفت إلى الإيمان ، فإنها تكون لارعة ومقبولة ، باعتبارها ثمراً للإيمان ...

فنتناول بالشرح هذين النوعين المرفوضين :

أعمال الناموس

٣ . كانت لأعمال الناموس أهمية في العهد القديم ، يظنون أنهم يتبررون بها . وتدخل فيها الممارسات الطقسية التي يفرضها الناموس : مثل الختان ، وحفظ السبت ، والمواسم والأعياد وأوائل الشهور ، وما فيها من تقدمات ، وما يختص بالنجاسات والتطهير ، في الأكل والشرب واللمس وغير ذلك ، مما نفى الرسول الاعتماد عليه ، مؤكداً أن الإنسان لا يتبرره .

بل أظهر أن أعمال ناموس قد مضت ، لأنها كانت مجرد رمز لنعم العهد الجديد أو كانت مجرد ظل للخيرات العتيدة . وقال في ذلك :

« لا يحكم أحد عليكم في أكل أو شرب ، أو من جهة عيد أو هلال أو سبت ، التي هي ظل الأمور العتيدة » (كو ٢ : ١٦) .

فالختان مثلاً ، كان من أعمال الناموس . كان علامة لشعب الله . وقد كان رمزاً للمعمودية ، إذ به يموت جزء من الإنسان ، رمزاً لموت الإنسان كله . حينما يموت المؤمن في المعمودية ، ويدفن مع المسيح ، لكي يحيا معه . إذن الختان في العهد الجديد ، كمجرد عمل من أعمال الناموس ، لا علاقة له بالخلاص ، لأنه طن للأمور لعتيدة ، وقد حلت المعمودية محله .

وحتى في العهد القديم ، أظهر الرب أن أعمال الناموس هذه ، إن كانت خالية من الروح ، تصبح بلا قيمة ...

وذلك لأنها قد صارت مجرد ممارسات لا يشترك لقلب فيها ، وقد يمارسها لإنسان مع ممارسة الخطية في نفس الوقت !

فقال في سفر شمعاء : « لا تعودوا تأثروا إلى بتقدمة باطلة . البخور هو مكرهة د . رأس الشهر والسبت ونداء المحفل . لسب أطيع الإثم والاعتكاف . رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي . صارت عليّ ثقلاً ، مست حبها .. أيدىكم ملائكة دماء » (إش ١ : ١٣ - ١٥) .

٥ - وأعمال الناموس هذه هي التي هاجمها الرسول بقوله :

« إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال ناموس ، بل بالإيمان يسوع المسيح » (غل ٢ : ١٦) . « ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله ، فظاهر لأن البار بالإيمان يحيا » (غل ٣ : ١١) . « لأنه بأعمال الناموس ، كل ذي حسد لا يتبرر أمامه » (رو ٣ : ٢٠) .

واضح هنا جداً ، كلامه عن أعمال الناموس . وواضح أيضاً أن هذا النوع من الأعمال ، ليس هو ما تقصده في حياتنا المسيحية . ربما قصده من أرادوا تهويد المسيحية .

٦ - هذا من جهة اليهود . ومن جهة محاولة بعض اليهود الذين اعتنقوا المسيحية في عصر الرسل ، وأرادوا إدخال عاداتهم اليهودية في المسيحية ، وكذلك طقوسهم وممارساتهم . فشرح هم الرسل أن اللازم للخلاص هو الإيمان ، وليست أعمال الناموس . وماذا إذن عن الأمم ؟ هذا يتكلم الرسول عن :

الاعمال بدون ايمان

ويمكن أن نقول عنها أيضاً : الأعمال الصالحة قبل الإيمان ، كأعمال الأنقياء من الأميين ، مثل كرنيليوس وغيره .

إنها أعمال صالحة ، ولكنها بدون إيمان لا تبرر الإنسان . فالبرير هو بالدم فقط ، دم المسيح ، الذي حمل خطايانا ، ومات عنا « الذي فيه لنا القداء ، بدمه غفران الخطايا » (كو ١ : ١٤) . وهكذا قال الرسول : « متبررين مجاناً بنعمته ، بالقداء الذي يسوع المسيح ، الذي قدمه الله كفارة ، بالإيمان بدمه ، لإظهار رحمته ، من أجل الصفح عن الخطيئة السالفة » (رو ٣ : ٢٤ ، ٢٥) .

إذن كل أعمال صالحة - بدون دم المسيح - لا تخلص .

وذلك لأنه بدون سمك دم لا تحصل مغفرة (عب ٩ : ٢٢) .

والخلاص - كما يؤمن جميعاً - هو عن طريق الدماء العظمى الذي تم على الصليب . إذن الأعمال بغير لإيمان بالدم والكفارة لا تبرر أحداً . وهذه الأعمال هي التي قال عنها لرسول : « لا بأعمال في بر عملته » .

وواضح أيضاً أننا لا نقصد هذا النوع مطلقاً ، في حديثنا عن الأعمال . فكلنا مؤمنون بالقداء والكفارة وأهمية دم المسيح .

يبقى النوع الثالث ارفوض من الأعمال وهو :

الاعمال البشريّة وحدها

أي الأعمال التي يعملها البشر ، بدون إشتراك الله معهم في العمل ، دون شركة لروح القدس ... إنما هي مجرد ذراع بشري ... هذه لا علاقة لها بالخلاص ...

ونحن لا نستطيع أن نسمي مثل هذه أعمالاً روحية ، أو أعمالاً صالحة بالمفهوم الدقيق للكلمة .

إن العمل البشري المنفصل عن الله ، لا يخلص لإنسان .

العمل الذى يصنعه الإنسان وحده ، دون أن يدخل الله فيه ، مصيره أن يؤول إلى المجد الباطل . ولا مكافأة له ، ولا علاقة له بالخلاص . وعنه نقول فى صلواتنا بالأجبية : « ونأعمدنى ليس لى خلاص » أى بأعمالى وحدها ، بدونك أنت ، وبدون دعك ...

هذه هى الأنواع الثلاثة من الأعمال ، المرفوضة ، والنسبى لا علاقة لها بالخلاص . فلنتكلم عن لأنواع الثلاثة الأخرى ...

عمل الروح القدس فى الأسرار

إن أسرار الكنيسة السبعة ليست أعمالاً بشرية يقوم بها الأب الكاهن . وإنما هى أعمال سرية يقوم بها الروح القدس نفسه على يد الكاهن ، الذى لا يعدو أن يكون خادماً للأسرار .

الروح القدس هو الذى يلد المؤمنين فى المعمودية ولادة جديدة ، بصيرون بها « مولودين من ماء والروح » (يو ٣ : ٥) ومولودين من الروح (يو ٣ : ٦) .

فهل نعتبر المعمودية إذن عملاً بشرياً أم إلهياً ؟

والروح القدس هو الذى يقدر المؤمنين ويشتت فى سر لمسحة المقدسة ، سر الميرون . ولذلك قال القديس يوحنا الحبيب : « وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس » (١ يو ٢ : ٢٠) .

فهل هذه لمسحة عمل بشرى ، وهى من القدوس ؟

إن الروح القدس هو الذى يحمل على المؤمنين (أع ١٩ : ٦) ، فهل هذا عمل بشرى ؟

والروح القدس هو الذى يغفر الخطايا فى سر التوبة . لذلك نضع الرب فى وجهه تلاميذه القديسين . وقد لهم : « اقبوا الروح القدس . من غفرتم خطاياهم تغفر له ... » (يو ٢٠ : ٢٢ ، ٢٣) . إذن فالمعمودية تتم بالروح القدس الذى قبلوه . فهل نعتبرها عملاً بشرياً ؟

والروح القدس هو الذى يحول الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه في سر الافخارستيا . والسيد الرب نفسه هو الذى يقول : « خذوا كلوا .. هذا هو جسدي » (١ كو ١١ : ٢٤) « خذوا اشربوا .. هذا هو دمي » (مت ٢٦ : ٢٦ ، ٢٧) . والرب نفسه وضع بركات هذا السر (يو ٦ : ٥٠ - ٥٦) .

والروح هو الذى يجعل الاثنين واحداً في سر الرميحة . لذلك يقول الرب عن ذلك : « لذي جمعه الله ، لا يفرقه إنسان » (مر ١٠ : ٩) .

وهكذا في باقى الأسرار المقدسة . الروح لقدس هو لعامل فيها ، وهو لمعطى كل بركاتها ونعمها .

فالذين ينكرون أسرار الكنيسة وفعاليتها في الخلاص ، إنما ينكرون عمل الروح القدس نفسه ، الذى به تتم الأسرار .

لماذا ينكرون لزوم المعمودية للخلاص ، مع قول الله الصريح : « من آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) ؟ هل المعمودية هي عمل بشري لا يتحدث بهاربو الأعمال ؟ أم انها بالحقبة عمل الروح القدس ، الذى يلد من الماء إنساناً جديداً ... ؟ وإن كانت عمل الروح ، إذن فهي عمل الله .

إذن من ينكر فاعلية المعمودية ، إنما ينكر عمل الله .

وإن كان الله في المعمودية « قد شاء عودنا » « نفس الميلاد الثاني ، وتجديد الروح القدس » (نى ٣ : ٥) . وخلصنا بهذا الغسل من خطايانا (أع ٢٢ : ١٦) . فماذا الاعتراض إذن على عمل الله ؟

ولماذا يعترضون على معصرة الكاهن للخطايا ؟ هل هذه المغفرة هي عمل إنسان ، أم هي عمل الروح القدس ؟

وإن كانت عمل الروح ، فلماذا يرفضونها ؟ وإن كانت عمل الروح ، فهي إذن عمل إلهي . وما الكاهن سوى خادم لهذا السر . لروح القدس هو لدى يغفر الخطايا ، ويعلن ذلك من قم الكاهن (١) . وقد شرحنا هذا بالتفصيل في كتاب الكهنوت .

(١) انظر كتاب « لكهنوت » : من ص ١١٥ إلى ص ١٢٢ .

هذه الأعمال التي يعملها الرب في الأسرار المقدسة ، من أجل خلاصنا ،
ينبغي أن نقف أمامها ونقول : « قفوا وانظروا خلاص الرب » (خر ١٤ :
١٣) .

هل تنكر كل أسرار الكنيسة وعمل الروح القدس فيها ، من أجل التشبه ببذعة
الخلاص في لحظة ؟ أو من أجل الإصرار على أن الخلاص بالإيمان وحده ، الذي يفتنون
أنه يتم في لحظة ؟! وفي سبيل ذلك لا مانع من إنكار كل آيات الكتاب المقدس التي
تثبت غير ذلك ... !!

إن محاربة أسرار الكنيسة ، هي عدم فهم هذه الأسرار . يظنونها أعمالاً
بشرية فيها جونها . وهي عمل الروح القدس .
نتنقل إلى نوع آخر من الأعمال ، ونفحص ما إذا كان الدين يرفضونها على حق أم
لا ؟ نتك هي :

أعمال شركة الروح القدس

إننا تطيب شركة الروح القدس معنا في العمل . ونقول في صلواتنا في رفع البخور :
« إشتراك في العمل مع عبيدك ، في كل عمل صالح » .

لا شك أننا بدون الله ، لا نقدر أن نعمل شيئاً (يو ١٥ : ٥) . هو العامل فينا ،
وهو العامل بنا ، وهو العامل معنا . وكما قال القديس بولس عن نفسه وعن زميله في
الخدمة أبولس : « نحن عاملان مع الله » (١ كو ٣ : ٩) . وقد لأهل فيلبي : « لأن
الله هو العامل فيكم أن تريدوا أن تعملوا من أجل المسرة » (في ٢ : ١٣) .

وما دام الله هو العامل فينا ، إذن فالأعمال الصالحة التي يقوم بها المؤمن
ليست مجرد أعمال بشرية ، وإنما هي شركة الروح الذي فيه ، الذي يحركه للعمل
ويشترك معه .

لهذا تمنحت الكنيسة في كل اجتماع بركة « شركة الروح القدس » التي أشار
إليها القديس بولس الرسول (٢ كو ١٣ : ١٤) . لا نشترك مع الروح القدس في الجوهر

أو في اللاهوت، حاشا..! وإذ نشترك معه في عمل . ونصير بهذا الاشتراك « شركاء الطبيعة الإلهية » (٢ بط ١ : ٤) ... في العمل .

والعمل الذى يشترك فيه معنا روح الله ، لا يجوز للإنسان أن يحتقره، أو يتجاهل قيمته في موضوع الخلاص .

وقر به اذن للسمع فليسمع (مر ٤ : ٩ ، ٢٣) .

إننا إن تكلمنا ، فلسنا نحن المتكلمين ، بل يشهد السيد المسيح قائلاً : « لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم الذى يتكلم هيكم » (مت ١٠ : ٢٠) . ونحن حينما نصلى ، هل نحن بدين نصلى وحدن ؟ كلا « لأننا لست نعم ما نصلى لأجله كما ينبغي، بل روح نفسه يشفع فينا بأنات لا يُسقط به » (رو ٨ : ٢٦) . وإن تبنا ، فإن الروح هو الذى « يكتننا على خطية » (يو ١٦ : ٨) وهو الذى يرشدنا ويقويننا . وإن خدمنا ، فالسيد المسيح يقول : « ولكنكم ستعالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وحينئذ تكونون شهداء » (أع ١ : ٨) .

إذن الأعمال الصالحة التى يعملها المؤمن ، لا يعملها وحده مطلقاً ، بل الروح القدس هو الذى يعملها فيه كما رأينا .

ومحاربته هي محاربة للروح القدس حامل فيها . بل هي أيضاً محاربة للسيد المسيح الذى قال : « يدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) .

حتى إردتنا ، حتى كل عمل نعمله ... يقول الرسول : إن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا لأجل أسرة (في ٢ : ١٣) .

إذن محاربة الأعمال الصالحة هي عدم فهم هذه الأعمال . يظنونها مجرد أعمال بشرية فيها حمولها ! ليتهم يدركون عمل الروح فيها ، حينئذ سوف يستحون من مهاجتها .

وهذه الأعمال صالحة لا يمكن أن ندحر المنكوب بدوينا . وكما شرحنا بالتفصيل في كتابنا « الخلاص في المفهوم الأرثوذكسى » .

إن الأعمال الصالحة لا نخلص بها ، ولكننا لا نخلص بدونها .

على الأقل ، يمكن أن نسمى هذه الأعمال « ثمر الإيمان » .

فإن كانوا يركزون على الإيمان وحده ، هنا نسأل : هل هذا لإيمان له ثمر ، أم هو بدون ثمر ؟ إن كان لا بد أن يكون له ثمر ، ليثبت أنه إيمان حى ، فهذا تظهر قيمة الأعمال . وإن كان بلا ثمر ، تقف أمامنا الآية التى تقول : « كل شجرة لا تصنع ثمرًا ، تقطع وتلقى فى النار » (مت ٣ : ١٠) .

وإن كان الإيمان لازماً للخلاص ، فهو لازم بثمره ، أى بهذه الأعمال الصالحة .

وإن كان بلا أعمال ، فهو « إيمان ميت » (يع ٢ : ١٧ ، ٢٠) ينظر القديس يعقوب الرسول إلى صاحبه ويقول : « إن قال أحد إن له إيماناً ، ولكن ليس له أعمال : هل يقدر الإيمان أن يخلصه » (يع ٢ : ١٤) .

ننتقل بعد ذلك إلى النقطة لأخيرة فى موضوع الأعمال ، وهى : عمل لله داته وكيف نستحقه :

أعمال الله داته

الفداء هو عمل الله وحده ، لم نشترك نحن فيه .

والخلاص الذى تم بالفداء ، هو عمل الله وحده .

ولكن عمل الله شئ ، واستحقاقنا لعمل الله شئ آخر .

لقد قدم الله بالفداء كفارة للعالم كله (١ يو ٢ : ٢) . فهل انتفع بها كل العالم ؟ كلا ، طبعاً . والخلاص الذى قدمه الرب للعالم : هل خلّص به جميع الناس ؟ كلا . إذن ماذا نستفيد : رب أهملنا خلاصاً هذا مقدره ؟ ! « (عب ٢ : ٣) .

إذن فكيف ننال الخلاص الذى دبره الله وحده ؟

أنا له بالإيمان ؟ الإيمان نفسه عمل . أننا هذا الخلاص بالمعمودية والتوبة ؟
إنهما أيضاً عملان .

وما هو عمل الإيمان الذي ننال به الخلاص ؟ يقول الرسول : « قد وُهب لكم
لأجل المسيح ، لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضاً أن تتألموا لأجله » (في ١ : ٢٩) .
إذن هذا الإيمان ، هو هبة من الله .

ويقول الرسول عن هذا الإيمان : « ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب ، إلا
بالروح القدس » (١ كو ١٢ : ٣) .

وكذلك المعمودية هي ولادة من الروح (يو ٣ : ٥ ، ٦) .

ومع أن الخلاص هو عمل الله وحده ، إلا أننا نأله في المعمودية ، حسب قوله :
« مَنْ آمَنَ واعتمد خُصَّ » (مر ١٦ : ١٦) .

كما إننا لا يمكن أن نأله الخلاص بدون التوبة .

وذلك حسب قول الرب : « إن لم تتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون » (لو
١٣ : ٣ ، ٥) . وكذلك حسب قول بطرس الرسول لليهود في يوم الخمسين (أع ٢ :
٣٨) .

الخلاص هو عمل الله وحده . هذا حق . ولكن كيف نأله ؟ القديس بطرس
رسول يشرح هذا الموضوع قائلاً :

« توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا ،
فتقبلوا عطية الروح القدس » (أع ٢ : ٣٨) .

إذن لا بد من لتوبة وللمعمودية ، لنأله المغفرة ، ونقبل عطية الروح القدس . وهل
يوجد خلاص بدون هذه المغفرة ، وبدون الروح القدس ؟ فإن كانت المغفرة لازمة
لخلاص وتُأله هنا بالتوبة والمعمودية ، فماذا إذن إنكار قيمة الأعمال ؟ !

إن التعليم الأرثوذكسي هو تعليم كتابي .

وهذا أممنا آت الكتاب واضحة في موضوع الخلاص .

أما عن توضيح موضوع الأعمال بالتفصيل ، وكون أن الدينونة تكون حسب
لأعمال ، لأن الله « سيجزى كل واحد حسب أعماله » (رؤى ٢٢ : ١٢) ، أو أن
الأعمال الشريرة تؤدي إلى الهلاك ، فهذا نحيبك فيه إلى كتاب « الخلاص في المهبوم
الأرثوذكسى » ...



الفصل الرابع

مايسموننا

مَراجِلُ الحِلاصِ

مراحل الخلاص

م	الموضوع	المرحلة الأولى	المرحلة الثانية	المرحلة الثالثة
١	مفهومه	نوال الخلاص (خلاص ثلثاه)	اتعام الخلاص (خلاص جميعاه)	كمال الخلاص (خلاص نترجاها)
٢	بركاته	خلاص من قصاص الخصة (التبرير)	من سلطان الخطيئة (التقديس)	من جسد الخطيئة (التمجيد)
٣	زمانه	في لحظة	مسيرة العمر	في لحظة
٤	شواهد	لو ٧: ٤٨، ٥٠ مر ١٦: ١٦	في ٢: ١٢ كو ٢: ١	في ٢: ٢٠، ٢١ كو ١: ١٥، ٥٢
٥	عوامله	دم المسيح	روح المسيح	مجى المسيح
٦	وسائله	سر التوبة والمعمودية	سر المسحة والتناول	المحى الثانى
٧	مستلزماته	الايمان الواعى	الحب والاثبات	السهر والايقاظ

نبذة

وزعت هذه النبذة بالبريد ، وأوصلها بعض أبنائنا إلينا . وهى مأخوذة عن فكر بروتستانتى ، وقد حاول صاحبها أن يلبسها ثياباً أرثوذكسية لم تستطع أن تغطيها .

هذه النبذة تقسم الخلاص إلى ثلاث مراحل :

أ - خلاص نلناه ، من قصاص الخطية ، يتم فى لحظة .

ب - خلاص نحياء ، من سلطان الخطية ، هو مسيرة العمر .

ج - خلاص نترجاه ، من جسد الخطية ، يتم فى لحظة .

ويرون أن الخلاص الذى نلناه يتم (بالتبرير) ، والذى نحياء يتم (بالتقديس) . والخلاص الذى نترجاه يسمى (لتمجيد) .

ومعروف أن مصدر هذا التقسيم ، هو قصة راع بروتستانتى :

سألته إحدى الفتيات (بأدب شديد !) : " هل خلصت يا حضرة القسيس ؟ " . فأجابها : " خلصت ، وأخلص ، وماخلص " . فصارت هذه العبارة رائدة لكثيرين . وبدأ تقسيم الموضوع إلى المرحل الثلاث : خلاص نلناه ، وخلاص نحياء ، وخلاص نترجاه . وهو تقسيم مجعى ستفحص ما معناه ، وما مغزاه ، وما لهواه ...

ويقول البروتستانت إن الخلاص الذى نلناه فى لحظة ، قد تم فى لحظة قبول المسيح فادياً ومخلصاً . أى فى لحظة الإيمان .

ولعلكم تلاحظون أن كتب العهد الجديد التى يوزعها الجذعوتيون مجاناً ، تحوى فى آخرها إقراراً بقبول المسيح فادياً ومخلصاً ، لكى يوقع عليه حامس الإنجيل .. !

تأمل

وعلى الرغم من أن لبذة (مراحل الخلاص) ذكرت أن الخلاص الذى ملناه من عقوبة الخطية قد تم فى لحظة، إلا أنها - لكى تأخذ مظهراً أرثوذكسياً - قالت إن هذا الخلاص من مستلزماته: الإيمان الواعى، ووسائله هى سر التوبة وسر المعمودية!

بل ورد فيها: " بهذا صار لأى إنسان متياز مارك، عندما يقبل إلى المسيح بتوبة قلبية، وإيمان واعٍ، أن يحصل على سر المسيح، عندما يتحد معه بشبه موته، أى بالمعمودية، ليوم معه فى وحدة الحياة (رو ٦: ٣) ... ولهذا قال للمسيح: «من آمن واعتمد خلص» (مر ١٦: ١٦) " اهـ.

وهنا يبدو التناقض، وبعرج كاتب البذة بين الفرقتين (١ مل ١٨: ٢١) بين الفكر البروتستانتي والمطهرية لأرثوذكسية. ويقف أمامنا سؤال ليس له جواب، وهو:

كيف يمكن أن نجمع فى لحظة، بين التوبة القلبية، والإيمان الواعى، وسر المعمودية؟

والوصول إلى التوبة يحتاج إلى وقت، والوصول إلى الإيمان الواعى يحتاج إلى وقت. وممارسة سر المعمودية تستغرق وقتاً. فكيف يمكن إتمام كل ذلك فى لحظة؟

إن البروتستانت صرحوا مع أنفسهم. يقولون إن خلاص الذى نم، إنما كان ذلك فى لحظة الإيمان. أما الفكر البروتستانتي الذى يحاول أن يهبط ثيماً أرثوذكسية، فلأنه غير صريح، لذلك يقع فى تناقض...

فلنأفكش لأن ما ورد فى البذة عن مراحل الخلاص:

١ - عبارة (مراحل) :

مجرد الحديث عن (مراحل) يعنى أن الخلاص لا يتم فى لحظة .
فهناك أكثر من مرحلة ، ثلاث مراحل ، لا يمكن أن تعنى لحظة ... بلأ لو كانت
كل مرحلة ثلث لحظة . وكان يمكننا أن نكتفى بهذا ، للرد على كاتب النبذة ... كما
أن هناك رداً آخر تحويه تفاصيل هذه المراحل وهو :

إن إحدى هذه المراحل (التقديس) تشمل (مسيرة العمر) كله !

ومادامت تشمل كل عمر لإنسان ، إذن فهذا الخلاص لا يتم فى لحظة . ومما يزيد
الأمر تعقيداً على كاتب النبذة ، انه بعد هذا العمر كله ، يوجد (خلاص نترجاه) ...
وموعده مجيء المسيح ...

٢ - الإيمان والتوبة ، واللحظة !

ليس الإيمان أمراً يأتى عموداً فاضراً . وليست لتوبة مجرد أفعال مة . فهما و
شك يحتاجان إلى وقت :

والإيمان والتوبة يحتاجان إلى عمل الكلمة ، وإلى عمل النعمة :

هذه الكلمة ، أو هذه الكرازة ، نجدها واضحة فى قول الرب : « اذهبوا وتبشروا
جميع الأمم ، وعمدوهم ... وعلموهم جميع ما أوصيتكم به » (مت ٢٨ : ١٩ ، ٢٠) ...
وفى قوله : « اكرزوا بالإنجيل للمخلقة كلها . فمن آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ :
١٥ ، ١٦) . ونجد خدمة الكلمة واضحة فى عمل بطرس الرسول فى يوم الخمسين :
كلمة . بعدها نخس السامعون فى قلوبهم ، فأمنوا ، ودعاهم برسل إلى التوبة والمعمودية
(أع ٢ : ٣٧ ، ٣٨) . ونجد نفس الأمر فى إيمان الخصى الحبشى : بشره فيلبس ، فأمن ،
فاعتمد (أع ٨ : ٣٥ - ٣٨) .

وفى خلال خدمة الكلمة ، كان الإيمان يزحف فى قلب السامعين ، حتى
وصل إلى نضجه ، ثم إلى إعلانة ... ولم يتم كل ذلك فى لحظة .

ونفس الكلام نقوله عن التوبة أيضاً . إنها لا تهبط فجأة في قلب في لحظة . يلزمها خدمة الكنيسة ، أو تأثيرات أخرى من عمل النعمة ، تظل تعمل في القلب ، حتى توصله إلى التوبة . وتدخل هي أيضاً في (مراحل الخلاص !) .
بعد كل هذه المقدمات ، فلتتناول هذه المراحل الثلاث ونفحصها :

الخلاص من عقوبة الخطية

هذا الذي نسميه النعمة (خلاصاً نلتاه) ، بالتبرير ، في لحظة ! وهو - كما تشرح النعمة - خلاص من قصاص خطية ، عوامله دم المسيح ، ووسائله سر التوبة والمعمودية ، ومستزماته الإيمان . وشاهدنا (مر ١٦ : ١٦) « من آمن واعتمد خلص » و (لو ٢ : ٤٨ ، ٥٠) « قد له : مغفرة لك خطاياك ... إيمانك قد خلصك » .

واضح أن السيد المسيح قدم خلاصاً بدمه على الصليب . ولكن هذا الخلاص لم ينله كل أحد . فكفارة السيد المسيح شيء ، واستحقاق هذه الكفارة شيء آخر ..

فمازال هناك كثيرون لم يخلصوا حتى الآن ، على الرغم من بدم الطاهر المسموك ، وعلى الرغم من الكفارة التي تحمل خطايا العالم كله (١ يو ٢ : ٢) . وذلك لأنهم لم يسلكوا في الطريق المؤدى إلى الخلاص . ومن جهة هذا الطريق نذكر الآيات الآتية كمثال :

- ١ - « من آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) .
 - ٢ - « توبوا . وليعتمد كل واحد منكم على اسم المسيح لغفران خطايا » (أع ٢ : ٣٨) .
 - ٣ - « قم اعتمد ، واغسل خطاياك » (أع ٢٢ : ١٦) .
 - ٤ - « إن لم تتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٣ ، ٥) .
- ومن هذه الآيات يتضح أنه للخلاص من عقوبة الخطية ثلثة أمور لا تتم في لحظة ، وهي الإيمان والتوبة والمعمودية .

وحتى مع خلاص بهذه الأمور الثلاثة ، لا يعنى الأمر سوى اخلاص من الخطية الجدية الأصلية ، والخطايا الفعلية السابقة للمعمودية .

هذه الخطية الأصلية ، هى التى قال عنها الكتاب : « بإسنان واحد دخلت الخطية إلى العالم ، وبالخطية الموت . وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس ، إذ أخطأ الجميع » (رو ٥ : ١٢) . وهكذا أصبحنا كلنا « أمواتاً بالخطايا » (أف ٢ : ٥) . لقد كنا كنا جزءاً من آدم ومن حواء ، حينما لحكم عليهما بالموت ...

فى المعمودية غفرت لنا الخطية الأصلية ، والخطايا السابقة للمعمودية . وهذا لا يعنى مفرة لخطايا التى تحدث أيضاً فى المستقبل ، بعد الإيمان والمعمودية !

الخلاص من عقوبة الخطية ، أمر ينسحب على خطايا الماضى والحاضر والمستقبل .

فكل خطية بعد المعمودية ، لها عقوبة وقصاص . وهذه العقوبة لا يخلص الإنسان منها ، إلا بالتوبة .

وذلك حسب قول الرب : « إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » (م ١٣ : ٣ ، ٥) . فكيف يمكن للإنسان أن يقول إنه نال الخلاص من عقوبة الخطية لحظة إيمانه ، أو لحظة توبته ، أو لحظة معموديته ؟! ألا يبقى أمامنا السؤال بلا جواب : وماذا عن الخلاص من عقوبة الخطايا التى بعد الإيمان والمعمودية ؟! جواب هو :

كل إنسان - لكى يخلص من عقوبة الخطية - يحتاج إلى توبة مستمرة كل حياته ، عن كل خطية يرتكبها . ونحن فى كل يوم نخطئ . وخطيئتنا لها قصاص ونحتاج إلى توبة .

إذن الخلاص من عقوبة الخطية فى لحظة ، أمر مستحيل عملياً . لأنه لا يوجد إنسان معصوم . « إن قلنا إنه ليس لنا خطية ، نضل أنفسنا وليس الحق فىنا » (١ يو ٨ : ١) « لأننا فى أشياء كثيرة نضل جميعنا » (يع ٣ : ٢) . إذن كيف نخلص من هذه الخطايا ؟ يقول القديس يوحنا الرسول : « إن سلكننا فى نور ، كما هو فى النور ... إن اعترفنا بخطايانا ... » (١ يو ١ : ٧ ، ٩) حينئذ « دم يسوع المسيح ابه يطهرنا من

كن خطية» «وهو أمين وعادل ، حتى يفر لنا خطايين ، ويطهرنا من كل إثم»
(١ يوحنا ١ : ٧ ، ٩) .

إذن اعترفنا بخطايانا ، وسلوكنا في النور ، أمران لازمان لنا في كل حياتنا ،
لكي يفر لنا خطايانا ، ونستحق دم المسيح يطهرنا من كل خطية ...

وهذا الأمر يستمر معنا كن الحياة ، أعى حياة التوبة الدائمة ، والاعتراف
بخطايانا ، والسلوك في النور ... فالتوبة ليست عملاً لحظياً ، بما هي حياة ...

وبهذا فإن الخلاص من عقوبة الخطية أمر نطلبه طول حياتنا ، ونسلك في
وسائله ولا نقول إننا نلناه في لحظة !

إنما يتحدث عن الخلاص من عقوبة الخطية في الماضي ، إنسان قد انقطعت صلته
بالخطية تماماً ، وأصبحت الخطية بالنسبة إليه من حديث الماضي وحده ! أما إنسان يعتقد
أن الخلاص من سلطان الخطية ، موضوع مسيرة العمر كلها ، فهو يعترف ضمناً أنه لم
يخلص من الخطية ومدارسها . وبالتالي لم يخلص بعد من عقوبتها .. !

ممارسة الخطية ، وعقوبة الخطية ، أمران متلازمان . فمادام الخلاص من
سلطان الخطية هو مسيرة العمر كله ، إذن بالتالي الخلاص من عقوبة الخطية هو
طلبه العمر كله .

ننتقل إلى النقطة التالية في (مرحلة الخلاص) وهي :

الخلاص من سلطان الخطية

كان يمكن أن نقول إن هذه النقطة خارجة عن موضوع بحثنا ، مادام كاتب لبنة
يقول إنها تشمل مسيرة العمر كله . إذن هي ضد بدعة (الخلاص في لحظة) ، وتوقع
أصحابها في تناقض . ويسمونها مرحلة (شقيس) .

ويسمونها أيضاً مرحلة (إتمام الخلاص) . ويستشهدون بقول الكتاب :
«تمموا خلاصكم بخوف ورعدة» (في ٢ : ١٢) ويقولوا أيضاً : « لنظهر ذواتنا من كل
دنس الجسد ولروح ، مكملين القداسة في خوف الله » (٢ كور ٧ : ١) . ولذلك يقولون

إنه من مستزمات هذه المرحلة لجهاد القانونى ، ومن وسائلها سر المسحة والتناول ..

وما دام الأمر هكذا ، فليقدم بعض ملاحظات :

١ - عبارة إتمام الخلاص ، تعنى أن الخلاص لم يتم . وإتمامه كما يقولون يحتاج إلى مسيرة العمر . فما معنى إذن (الخلاص فى لحظة) ؟!

٢ - وإن كانت المرحلة السابقة هى (نوال الخلاص) ، هذا بدى يقولون إنه تم فى لحظة !

فهل يتفق مع نوال الخلاص ، أن تقضى بعده مسيرة العمر « فى خوف ورعدة » (فى ٢ : ١٢) ؟ ...

٣ - عبارات التبرير والتقديس والتمجيد ، التى وردت فى هذه النبذة ، لنا عليها تعليق فى بحث خاص فى هذا الكتاب .

نتنقل إلى النقطة الثالثة فى هذه (امراحل) وهى :

الخلاص من "جسد الخطية"

قالوا فى ذلك: وفى نهاية الحياة ، وعد الرب أنه سيأتى ، ليعطى المؤمنين الذين ينتظرون مجيئه أجساداً نورانية شبه جسده المجد «فإن سيرتنا نحن هى فى السموات ، التى منها ننتظر علفاً هو رب يسوع ، الذى سغير شكل جسد تواضعنا ، ليكون عى صورة جسد مجده» (فى ٣ : ٢٠ ، ٢١) . وأيضاً (١ كو ١٥ : ٥٢) .

ويقولون إنه الخلاص الذى نترجاه . وأنه كمال الخلاص ، وأنه الخلاص من جسد الخطية ، ويسمونه التمجيد . ويقولون أن عوامله ووسائله هى مجيء المسيح الثانى . ومستلزماته السهر والانتظار . ويقولون إن هذا الخلاص يتم فى لحظة .

ولنا على كى هذا الكلام ملاحظات ، من بينها :

١ - عجيب أن يكون خلاص الذى تنتظره ، هو الخلاص من هذا الجسد ، ولبس لجسد الروحانى (١ كو ١٥ : ٥٢) !!

فليس الجسد الروحاني في القيامة ، هو مجرد مقدمة للأفراح ... حيث نلبس إكسيل لير (٢ تي ٤ : ٨) ، ونخلص من هذا الجهاد عنيف ، ونتمتع بما لم نره عين ، ولم نسمع به أذن ، ولم يخطر على قلب بشر (١ كو ٢ : ٩) ... نتمتع بالعيشة مع الله ، ومع ملائكته وقديسيه ، في أورشليم السمائية مسكن الله مع الناس (رؤ ٢١ : ٣) ، حيث نأكل من شجرة الحياة (رؤ ٢ : ٧) ومن المن المخفي (رؤ ٢ : ١٧) ، ونجلس مع الابن في عرشه (رؤ ٣ : ٢١) . وترجع إلينا الصورة الإلهية ، ونتمتع بكل البركات التي وردت في سفر الرؤيا . ونحيا حياة كلها معادة وبركة .

هذه هو الخلاص العظيم الذي ننتظره . وخلع الجسد المادي فيه هو مجرد عنصر سلبي من سلبيات كثيرة حيث نتخلص من مادة كلها ، ومن هذا العالم ، ومن الخطية ونتائجها : الموت والحزن ، كما نخلص من حروب الشياطين ومن الخطية عموماً ، لأنه : « لا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد » « والموت لا يكون فيما بعد » (رؤ ٢١ : ٤) . وإبليس الذي فضلنا سيكون قد طُرح في بحيرة النار والكبريت (رؤ ٢٠ : ١٠) كما سنخلص من معرفة الخطية ، وترجع أذهاننا وقلوبنا إلى البساطة ولتقاوة التي لا تعرف خطية ... فلماذا إذن تركيز الخلاص الذي نترجاه ، على مجرد خلع الجسد المادي ؟!

٢ - ولماذا يسميه كاتب النسخة « جسد الخطية » ؟

هل لمجرد الإيقاع اللفظي ، في التوافق بين عبارات (خلاص من عقوبة الخطية) ، ومن سلطان الخطية ، ومن جسد الخطية..! تماماً كالإيقاع اللفظي في التقسيم لسحبي : خلاص نناء ، وخلاص نحياء ، وخلاص نترجاه ..!

إن شرح الأمور اللاهوتية على أساس لفظي أو سحبي ، كم أوقع لكثيرين في أخطاء لاهوتية عديدة وصعبة ..!

من قال إننا نلبس جسد الخطية ؟!

لو كان هذا الجسد خطية ، ما كان الله قد حمقه ، لأن الله لا يخلق شيئاً شريعاً على الإطلاق . ولو كان هذا الجسد خطية ، ما لبس الله جسداً حينما تجسد لخلاصنا . ولو كان هذا الجسد خطية ، ما كنا نكرم أحساد القديسين ، وما كانت ملازمة عظام

اليشع تقيم ميتاً (٢ مل ١٣ : ٢١). ولو كان هذا الجسد خطية، ما كان الرسول يقول: «مجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (١ كو ٦ : ٢٠)، وما كانت أجسادنا تصير هياكل للروح القدس (١ كو ٦ : ١٩) وأعضاء المسيح (١ كو ٦ : ١٥)، وما كانت أجسادنا تشترك في العمل الروحي في الصلاة والصوم والسهر والسجود والتعب من أجل خلاص الآخرين...!

إن كان الجسد يخطئ، فالروح أيضاً تخطئ.

الشيطان روح من غير جسد مادي، وهو يخطئ. وقد وقع في خطايا الكبرياء، والكذب، والحسد، خداع الآخرين، ولم يشترك معه جسد في هذه الأخطاء... والبشر أيضاً يقعون في أخطاء الروح هذه، وفي أخطاء أخرى كثيرة للروح. وبأخطاء الروح، يدفعون الجسد إلى الخطية دفماً.

ونحن نصلي إلى الله أن يظهر نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا، وأن ينجينا من دنس الجسد والروح. والرسول نفسه يقول: «لنظهر ذاتنا من كل دنس الجسد والروح، مكملين القداسة في خوف الله» (٢ كو ٧ : ١). إذ الروح تتدنس كما يتدنس الجسد.

والخلاص الذي نطلبه، هو خلاص من الخطية عموماً، ومن الدنس عموماً، سواء كان من الجسد أو من الروح.

ومادامت الروح تخطئ، إذن الروح تتعذب في الأبدية كما يتعذب الجسد. وليس العذاب فقط للجسد، باعتبار جسد الخطية!!

إن الكتاب يقول لنا: «قبل تكسر الكبرياء، وقبل السقوط تشامخ الروح» (١٦ : ١٨). ومحدثنا أيضاً عن «تكبر الروح» (حا ٧ : ٨). وقيل عن نبوخذ نصر الملك إنه «ارتفع قلبه وقست روحه» (دا ٥ : ٢٠). ويقول الكتاب: «طول الروح خير من تكرار الروح. لا تسرع بروحك إلى الغضب، لأن الغضب يستقر في حضن لجهال» (ح ٧ : ٩). وقال الله عن الجيل الزائف المتمرد إنه «لم تكن روحه أمانة لله» (مز ٧٨ : ٨). ولأهمية الروح وعملها وإمكانية سقوطها قال الكتاب: «مالك روحه خير من مائة مدينة» (أم ١٦ : ٣٢).

لماذا إذن الكلام عن الخلاص فقط من جسد الخطية ؟ بينما المطلوب هو الخلاص من الخطية جسداً وروحاً ..

٣ - لعل التركيز على (جسد الخطية) هو الظن بأن النخلص من هذا الجسد المادى يتم فى لحظة !!

ولعل حجة هؤلاء هى قول الرسول : « هوذا سر أقوله لكم : لا نرقد كلنا . ولكننا كند نتغير . فى لحظة فى صرفة عين ، عند البوق الأخير . فإنه سيبوق ، فيقام الأموات عديمى فساد ، ونحن نتغير . لأن هذا الفاسد لا بد أن يبس عدم فساد ، وهذا المائت يبس عدم موت » (١ كو ١٥ : ٥١ - ٥٣) .

الواقع إن الذى يتم فى لحظة ، هو عملية الاختطاف ، وما يتبعها من تغير ، عند البوق الأخير ، فى يوم القيامة :

يقول لرسول : « إننا نحن الأحياء الباقين إلى يوم الرب ، لا نسق الراقدين . لأن رب نفسه ، بهتاف ، بصوت رئيس ملائكة ، وبوق لله ، سوف ينزل من السماء . والأموات فى المسيح سيقومون أولاً ، ثم نحن الأحياء الباقين سنحطف جميعاً معهم ، لملاقاة الرب فى الهواء . وهكذا نكون كل حين مع الرب » (١ تس ٤ : ١٥ - ١٧) .

هؤلاء الذين يقفون أحياء إلى مجيء الرب ، ويخطفون معه إلى السحاب ، تتغير أجسادهم فى لحظة إلى أجساد روحانية .

وذلك لكى يمكنهم أن يلاقوا الرب فى الهواء ، ويأخذهم معه على السحاب ، ويكونوا معه كل حين . ولا يجوز هذا للأجساد المادية . كما انهم بهذا يتغير يصيرون مثل باقى البشر الذين قاموا من أموات بأجساد روحية (١ كو ١٥ : ٤٤ ، ٥٣) .

وطبعاً كاتب نبذة (مراحل الخلاص) لم يكتبها هؤلاء الباقين إلى مجيء الرب ، الذين سيخطفون لملاقاة الرب فى الهواء !!

أما الذين يموتون الآن ، ويقومون فى اليوم الأخير ، وكذلك الذين ماتوا قبلنا .. كلهم لا ينطبق عليهم الخلاص من الجسد المادى فى لحظة ... فلماذا ؟

ذلك لأن هذا الموضوع ، ينقسم إلى مرحلتين بينهما مسافة :

أ - المرحلة الأولى ، وهى حلم الجسد المادى ، بالموت .

ب - لمرحلة الثانية ، وهى لبس لجسد الروحانى ، فى القيامة .

وبين المرحلتين مدى زمنى ، ربما يكون آلاف أو مئات السنين ، وليس لحظة ! لأن لحظة التخلص من الجسد المادى بالموت ، ليست هى لحظة التمجيد الذى يقصدونه ، وليست وسيلتها بحىء المسيح ، وليس شهادتها (١ كو ١٥ : ٥٢) أو (١ : ٣ : ٢١) فكأن هذا عن تغيير الجسد فى يوم القيامة .

وواضح أنه ليست بيننا وبين يوم القيامة لحظة .

فالمسافة بين الموت والقيامة طويلة جداً . ولأن المسافة طويلة ، فإن الخليقة كلها تتن منتظرة . وفى هذا يقول الرسول :

« ... فإننا نعلم أن كل الخليقة تتن وتتمنخض معاً إلى الآن . وليس هكذا فقط ، بل نحن الذين لنا بكورة الروح ، نحن أنفسنا أيضاً نتن فى أنفسنا ، متوقعين التبنى فداء أجسادنا . لأننا بالرجاء خلصنا ، ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء . لأن م ينظره أحد ، كيف يرجوه أيضاً ؟ ولكن إن كنا نرجو ما لسنأ ننظره ، فإننا نتوقعه بالصبر » (رو ٨ : ٢٢ - ٢٥) .

هذا الذى ننظره ، ونتوقعه ، بالصبر والرجاء ، لا يمكن أن تنطبق عليه عبارة لحظة . فما أطول المسافة بين خلصنا لهذا الجسد ، ولبسنا الجسد الروحانى النورانى ...

ومن هنا يكون وصول الإنسان إلى مرحلة (التمجيد) التى يقصدونها لا يتم لقارىء الندة أو لغيره فى حضة .

نتنقل إلى قاعدة عامة نطبقها على م ورد فى نبذة (مراحل الخلاص) . وهى :

خطورة التعديرات

هذه التعديرات الموحدة في (مراحل الخلاص) تعديلات غير مقبولة لاهوتياً ،
والصيغات السجمية واللغوية ليست هي المقياس اللاهوتي السليم ...

فمثلاً تحديد الخلاص من عقوبة الخطية بأنه خلاص للناس ، في الماضي ،
تعبير خاطيء ، لأننا أيضاً نحياء وترجاء .

فنحن نحياء ، عن طريق انوبة المستمرة ، وما يصحبها من مغفرة وخلاص من
العقوبة . كما إننا نترجى هذا الخلاص في المستقبل ، حينما نقف أمام الله في يوم
الدينونة الرهيب ، راحين أن نسمع منه عبارات مغفرة والخلاص . ولأفما معنى «يوم
الدينونة» الذي سيجازي فيه الرب كل واحد حسب أعماله ؟ (مت ١٦ : ٢٧ رو
١٢ : ٢٢) .

٢ - والخلاص من سلطان الخطية ، أمر يختص أيضاً بالماضي والحاضر
والمستقبل . ومن الصعب تحديده بالحاضر فقط .

فمهما كان الخلاص الذي نحياء حالياً من جهة سلطان الخطية ، فهو لا يقاس
إطلاقاً بما نترجاه في الأبدية ، حيث نحياء في البر والقداسة والنقوة ، بلا صراع ، بلا
جهاد ، إذ نتال إكليل البر (٢تى ٤ : ٨) ، ولا تكون خطية قيمة بعد «لأن الأمور
الآن قد مضت» (رو ٢١ : ٤) .

ولا يكون في الأبدية أى سلطان للشيطان ولا أعوانه في محاربة المؤمنين ، ولا أى
ضعف فيهم يستسلم لأية حروب روحية داخلية أو خارجية ، بل تنتهى الحرب تماماً .
إذن الخلاص من سلطان الخطية ليس خاصاً بالحاضر فقط ، بمعنى أننا نحياء
الآن . إننا سنحياء أيضاً في المستقبل . لذلك نحن في صراعنا الحالي ، نترجى
هذه الحالة الروحية السامية .

إن الذي ينكر الخلاص من بعض سلطان الخطية في الماضي ، إنما ينكر
عقيداً بعض مفاعيل المعمودية في تحديد الطبيعة .

حقاً إنساناً متزال محارب . ولكن مقاومتنا بعد المعمودية أقوى بكثير من حالتنا قبلها . ولذلك نقول بولس الرسول : « إن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين أمت » (رو ١٣ : ١١) .

كذلك الخلاص من سلطان الخطية ، نل منه شيئاً في الماضي ، حينما دخلنا بالمعمودية في جنة الحياة ، في نعمة التجديد ، أعني تجديد الطبيعة ، هذه التي قال عنها القديس بولس رسول : « علمين هذا ، أن إنساننا المتيق قد صُلب معه ، ليبطل جسد الخطية ، كي لا يعود يستعد أيضاً للخطية » (رو ٦ : ٦ ، ٤) .

٣ - كذلك الخلاص الذي نترجاه ، ذكرنا من قبل أن حصره في الخلاص من الجسد المادي ، هو تحديد خاطئ .

٤ - إن القضايا اللاهوتية تحتاج إلى دقة كبيرة في التعبير .

بمجرد تغيير كلمة بكلمة ، قد يؤدي إلى خطأ لاهوتي ، أو إلى بدعة . والتقييد في المسائل اللاهوتية بالتعبير السجعي ، قد تكون له خطورة كبيرة .

٥ - كذلك تعبیر لحظة له أخطاؤه لاهوتياً ولغوياً . ومن الصعب لغوياً أن نطلق كلمة لحظة على مرحلة !

كيف يمكن لإنسان أن يتحدث عن (مراحل) الخلاص ، فيقول إنها ثلاث مراحل : المرحلة الأولى منها لحظة ، والمرحلة الأخيرة منها لحظة ، والمرحلة الوسطى هي مسيرة العمر . والمرحل الثلاث توضع تحت عنوان « الخلاص في لحظة » ؟!

وفي هذه المراحل ينسب الكاتب كل الخطوات الطوية التي كانت ممهدة لها . فإن كانت المرحلة الأولى التي يسمونها لتبرير تعتمد على الإيمان ، فهي يمكن تجاهل كل الخطوات التي أوصلت الإنسان إلى الإيمان ، كخدمة الكلمة ، وعمل القلب ، وصراع الروح للاستجابة .

وحين المرحلة الأولى التي يقولون إنها خلاص بناه في لحظة ، بالإيمان الواعي ، والتوبة القلبية ، والمعمودية ، نسأهم فيها :

أية لحظة تقصدون ؟

أهي لحظة خاصة بالايمان ؟ أم بالتوبة ؟ أم بالمعمودية ؟

لا المعمودية تتم في لحظة ، ولا التوبة ، ولا الايمان فكيف يمكن أن يشمل الكل
معاً في لحظة ؟!!!

٦ - بقي في النبذة موضوع خاص بمعمودية الأطفال . تعليقنا عليه ، في فصل الخاص
بالمعمودية .



الفصل الخامس

الحِلاص

هو قصة العِمرِكله

الخلاص بالإيمان والتوبة والمعمودية

١ - أنت يا أُنحى ، كنت في صُلب آدم ، حينما أخطأ ، وحيثما عوقب ، وحينما دخل الموت إليه . فورثت عنه كل هذا ، وتلقيت معه حكم الموت ، كجزء منه . ودخلت الخطيئة إلى طبيعتك ، وتقدت صورتك الإلهية .

وأصبحت في حاجة إلى الخلاص من هذه الخطيئة الأصلية الجديدة ، ومن كل نتائجها وعقوباتها .

هذه التى قال عنها الرسول : « بإنسان واحد ، دخلت الخطيئة إلى العالم ، وبالخطيئة لموت . وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس ، إذ أخطأ الجميع » (رو ٥ : ١٢) . فكيف إذن نلت الخلاص من هذه الخطيئة ؟

٢ - تبدأ قصة الخلاص في حياة كل إنسان بالإيمان والتوبة والمعمودية . وذلك حسب قول السيد المسيح : « مَنْ آمَنَ واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) ، وحسب قول القديس بطرس الرسول لليهود في يوم الخمسين : « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا ... » (أع ٢ : ٣٨) .

وهذه الخطايا تشمل الخطيئة الأصلية ، وجميع الخطايا الفعلية التى ارتكبتها الإنسان قبل المعمودية .

٣ - في المعمودية ننال خلاصاً وغفراناً ، وغسلاً لخطايانا ، وتجديداً .

فيها نُدفن مع المسيح (كو ٢ : ١٢) . نموت معه ، لنقوم معه ، ونحيا في جدة الحياة (رو ٦ : ٤) « عالمين أن إنساننا العتيق قد صُلبَ معه ، ليبطل جسد الخطيئة ، حتى لا نعود نُستعبد أيضاً للخطيئة » (رو ٦ : ٦) .

لقد صرنا في المعمودية أولاداً لله ، وصرنا أعضاء في جسد المسيح . بل أكثر من هذا يقول الرسول : « لأنكم جميعكم الذين اعتمدتم للمسيح ، قد لبستم المسيح »

(غل ٣ : ٢٧) . لقد متنا مع المسيح وقمنا . مات إنساننا العتيق المحكوم عليه بالموت ، وقام إنسان جديد على صورة الله ...

٤ - ولكننا مازلنا نخطيء بعد المعمودية . المعمودية منحتنا تجديداً في طبيعتنا ، ولكنها لم تمنحنا عصمة . لقد صار المعتمد إنساناً جديداً ، ولكنه إنسان حر ، وبالحرية يمكن أن يخطيء .

نحن لا ننكر أننا نخطيء بعد المعمودية ، ونخطيء كل يوم « وإن قمنا إنه ليس لنا خطية ، فضل أنفسنا وليس الحق فينا » (١ يو ١ : ٨) .

نعمة التجديد التي نلناها في المعمودية ، لم تسلبنا نعمة الحرية التي لنا كصورة لله ، هذه الحرية التي ترفع من قدر إنسانيتنا ...

الطبيعة التي أخذناها من المعمودية ، طبيعة نقية ، ومع ذلك هي طبيعة قابلة للخطية . فهكذا كانت أيضاً طبيعة آدم قبل السقوط ...

٥ - إننا لم نل العصمة . لم نل بعد إكليل البر ، الذي يهبه لنا في ذلك ليوم الرب الديان العادل (٢ تي ٤ : ٨) .

حفاً أنت نحصى بعد المعمودية . ولكن لا شك ن هناك فرقاً بين من يخطيء قبل عماد وحياته في الشر ، وبين من يخطيء بعد عماده ، ويتبكت من الروح القدس ومن ضميره . وتكون الخطية بالنسبة إليه شيئاً عارضاً ، فرفضه روحه ويمكنه الانتصار عليه ...

٦ - كذلك نحن في سر المبرون ، مر المسحة المقدمة (١ يو ٢ : ٢٠ ، ٢٧) ، يسكن فينا الروح القدس ، نصير هياكل للروح القدس ، وروح الله يسكن فينا (١ كو ٣ : ١٦) .

ولكن الروح القدس الذي فينا ، لا يرغبنا على الخطية .

ولا يمنعنا من ارتكاب الخطية إجباراً بالقوة . إنما يرشدنا ويقوننا ، ويمكننا على خطية . ونعني كما نحن أحراراً ، يمكن أن نسقط في الخطية ، إذا انحرف برادتنا الحرة .

وواضح أننا نخطيء بعد المعمودية ، وبعد سكنى الروح القدس فينا . وهنا لا بد أن يعترضنا سؤال وهو :

٧ - هذه الخطايا التي تقع فيها بعد المعمودية : أليست لها عقوبة ؟ ألا نحتاج أيضاً إلى خلاص ؟!

الكتاب صريح في هذا الأمر . إنه يقول : « أحرّة لخطية هي موت » (رو ٦ : ٢٣) . كل خطية ، بلا استثناء ... « لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح ، لنذل كل واحد ما كان بالحسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً » (٢ كو ٥ : ١٠) . وقد قال السيد نفسه : « ها أنا اتى سريعاً وأجرتى معي ، لأجازي كل واحد كما يكون عمله » (رؤ ٢٢ : ١٢) . ومادامت هناك عقوبة على كل خطية فعبة نرتكبها ، إذن لا بد من احتياج مستمر للخلاص . وكيف ذلك ؟ ندرج إلى :

الخلاص بالتوبة والتناول

٨ - لعلك تقول : كل خطايى قد حمها المسيح على الصليب .

هنا وأقول لك : أية خطايا قد حمها المسيح عنك ؟

بكل صراحة ، يجب أن تعلم أن المسيح لا يحمل عنك إلا الخطايا التي تتوب عنها . لأنه هو نفسه يقول : « إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٣ ، ٥) . والكتب يقول في ذلك أيضاً : « أم تستهين بغنى لطفه وامهاله وطول أناته ، غير علم أن لطف الله إنما يقتادك إلى لتوبة . ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير النائب تدخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة ، الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله » (رو ٢ : ٤ - ٦) .

٩ - إذن هناك خلاص تناله أيضاً في التوبة ..

والتوبة ليست عملاً يتم في لحظة ، إنما هي تستمر معك طول حياتك ، عن كل خطية نرتكبها في رحبه لعمر لطويبة . وليست لتوبة فقط ، وإنما ...

١٠ - هناك خلاصتنا في تناول من جسد الرب ودمه :

إننا نقول في القداس الإلهي عن تناول : « يُعطي عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياء أبدياً لمن يتناول منه » .

ولعل هذا مأخوذ من وعود السيد المسيح التي قال فيها : « من يأكل جسدي ويشرب دمي ، فله حياة أبدية ... من يأكل جسدي ويشرب دمي ، يثبت فيّ وأنا فيه » (يوحنا : ٦ : ٥٤ ، ٥٦) .

إذن هناك خلاصتنا في المعمودية ، وخلاصتنا في التوبة والتناول ، وما في التوبة من اعتراف بالخطايا .

لا نستطيع أن نقول إننا خلصنا حقاً ، مادامنا نخطئ ، ومادامت عقوبة الخطية تترصدنا ، ومادامنا نحتاج كل يوم إلى توبة ... إنما نحن ننال خلاصاً في كل يوم بالتوبة ، ونحس خطايانا بالدم ، ونخطئ مرة أخرى .

١١ - إننا نحيا على الأرض فترة اختبار . والإنسان لا يُختبر في لحظة ، أو في فترة معينة من حياته . إنما حياته كلها - حتى يوم وفاته - هي فترة اختبار .

إن لحظات مقدسة في حياة الإنسان ، لا يمكن أن تعبر عن حياته كلها ، مهما كانت لحظات توبة ، أو عمق لصلة مع الله في صلاة ونأمل وخدمة للآخرين ... الحياة الإنسانية فيها الكثير من التغير ومن التقلب ...

القديس بطرس الرسول كان في لحظة ما في منتهى الحماس والتمسك بالرب حتى الموت ، يقول له : « إن شك الجميع ، فأنا لا أشك ... ولو اضطرت أن أموت معك ، لا أنكر » (مر ١٤ : ٢٩ ، ٣١) ... وبعدها بساعات ، سب ولعن ، وقال لا أعرف الرجل ، مسكراً المسيح ثلاث مرات (مت ٢٦ : ٧٤ ، ٧٥) .

إن كان رسول عظيم كهذا ، تعرض إلى حرب روحية شديدة وسقط ، فمذا تقول عن نفسك يا من تظن أنك خلصت ؟

أنك في حرب

١٢ - إنها حرب قائمة دائمة ، تستمر معك طول الحياة ..

وما دمت في حرب ، كيف تعلن نيتها قبل انتهائها ؟

هذه الحرب يتحدث عنها لوقاس الرسول فيقول : « إن مصارعنا ليست مع لحم ودم بل مع .. أجناد الشر لروحية » (أف ٦ : ١٢) . وقال لنا عن هذه الحرب : « من أجل ذلك ، لبسوا سلاح الله الكامل ، لكي تقفوا أن تقاوموا في اليوم الشرير ، وبعد أن تتموا كل شيء أن تثبتوا » (أف ٦ : ١٣) . وما أجل تلخيص الرسول لأمر الحرب هنا :

حرب . سلاح . مقاومة . تتموا كل شيء . تثبتوا ... ونحتاج في هذه الحرب إلى إطفاء جميع سهام الشرير الملتهبة (أف ٦ : ١٦) .

والقدوس بطرس الرسول يقول عن هذه الحرب : « اصحوا واسهروا ، لأن إبليس خصمكم كأسد زائر ، يحول ملتصقاً من يثلمه هو . فقاوموه راسحين في الإيمان » (١ بط ٥ : ٨ ، ٩) إذن هو يكلم مؤمنين ، ومحاربين ، ويحتاجون إلى صحو وسهر ، ومقاومة لعدو شديد . والقدوس بولس يريد أن نقاوم حتى الدم ، مجاهدين ضد الخطية (عب ١٢ : ٤)

الحرب ما زالت مستمرة . ونتيجتها هي التي تقرر خلاصكم .

ولذلك فإن السيد المسيح يكرر عبارة « من يقلب ... » سبع مرات في رسائله إلى الكنائس السبع التي في آسيا (رؤ ٢ ، ٣) . فهل نحسب نفست من العالمين ، وأخرب مارالت مستمرة ؟! انتظر إذن حتى تنتهي هذه الحرب .

١٣ - كثيراً ما يخيل إليك أنك قد خلصت من الخطية ، ثم ترجع إليها أو إلى غيرها مرة أخرى ..!

كثيراً ما تظن أنك صرت صديقاً باراً ، ثم ترى أن « الصديق يسقط سبع مرات ويقوم » (أم ٢٤ : ١٦) . وكيف يقوم ؟ يقوم بعمل النعمة ، وبخدمة المصالحة من

رجال الكهنوت (٢ كور ٥ : ١٨ ، ٢٠) وبسرى توبة والإفخارستيا ، وبمعونة من لكيسة في اعتقادها ورعايتها...

وكثيراً ما تحولك التوبة ، ليس من خطيئة إلى تائب فحسب ، بل من خاطيء إلى قديس . ولكن هل تظن بهذا أنك قد وصلت ؟ كلا ، فإن الحرب ضد القديسين أخطر وأصعب !

أتراك صرت قديساً ، وظننت أنك قد خلصت ؟ إذن اسمع ما يقوله سفر الرؤيا عن الوحش : « وأعطى أن يصنع حرباً مع القديسين ويغلبهم » (رؤيا ١٣ : ٧) .. هؤلاء القديسون الذي غلبهم الوحش ، ألا يحتاجون إلى الخلاص ؟!

١٤ - ما أكثر صلوات القديسين طلباً للخلاص ...

وم أكثر صلواتنا ليومية التي نصليها بالزمير طلباً للخلاص . ونقول فيها : « اللهم باسمك حصني » (مز ٥٣) « انضج عليّ بزودك فاخلص ، واغسلني فأبيض أكثر من الثلج » (مز ٥٠) « إلى متى أردد هذه المشورات في نفسي ، وهذه الأوجع في قسبي اسهار كله ؟ إلى متى يرتفع عدوى عليّ » (مز ١٢) .

١٥ - فمادامت الحرب الروحية التي تهدد خلاصنا ، هي طول الحياة كلها ، إذن لهذا الخلاص هو قصة الحياة كلها .

لا تستكبر بل خف

١٦ - يقول القديس بوس الرسول : « لا تستكبر بل خف . لأنه إن كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية فلمه لا يشفق عليك أنت أيضاً . فهذا لطف الله وصرامته : أما لصرامة فعل الذين سقطوا ، وأما اللطف فلك ، إن ثبت في اللطف . وإلا فأنت أيضاً ستقطع » (روم ١١ : ٢٠ - ٢٢) .

إذن هناك احتمال أنك لا تثبت ، وحينئذ تُقطع . فلذلك لا تستكبر وتظن أنك قد خلصت وانتهى الأمر ، بل خف . المتضعون يسلكون بهذه المخافة . أما

المتكبرون فيفتخرون باطلاً بأنهم خلصوا، وضمنوا الخلاص إلى الأبد. وبهذا الافتخار تزول المخافة من قلوبهم. وبالتالي يزول الحرص، وتتخل عنهم النعمة بسبب الكبرياء فيسقطون. ويبتلون وصية الرسول القائل:

١٧ - « تموا خلاصكم بخوف ورعدة » (في ٢ : ١٢) .

ومعنى هذا أن الخلاص الذى نلناه فى المعمودية من الخطية الأصلية والخطايا السابقة للمعمودية ، وهو خلاص يحتاج إلى تكميم .

وهو تكميم يشمل الحياة كلها ، ولا يتم فى لحظة .

١٨ - إنه لم يتوقف فقط على القبول والإيمان ، ولا على التوبة والمعمودية ، وإنما يحتاج إلى ثمر الإيمان (يو ١٥ : ٥ ، ٦) وإلى ثمار تليق بالتوبة (مت ٣ : ٨) ويلزمه فى كل ذلك عمل النعمة ، وشركة الروح القدس (٢ كو ١٣ : ١٤) . وعبة الله ، والنيات فى هذه المحبة (يو ١٥ : ٩) . ولجهاد (٢ تي ٢ : ٢ ، ٥ عب ١٢ : ١) . والمصارعة مع الشيطان (أف ٦ : ١٢) والمقاومة حتى الدم (عب ١٢ : ٤) . كما تلزم فاعلية الأسرار وهى كثيرة ...

وبلزم أيضاً الخوف : الخوف من السقوط . ومن الدينونة ...

١٩ - ويقول القديس دهمي القم عن الخوف ، فى شرح (في ٢ : ١٢) :

[إن الرسول لم يقل فقط « نحوف » وإنما قال « ورعدة » وهى درجة أعلى بكثير من الخوف ...

هذا الخوف كان عند القديس بولس نفسه . ولذلك قال : أنا أخاف « لئلا بعدما كرزت لأخزين ، أصير أنا مرفوضاً » (١ كو ٩ : ٢٧) .

لأنه إن كان بدون الخوف لا تتم بعض الأمور الزمنية ، فكذلك بالأمور الروحية ... لأنه حيثما توجد حرب مثل هذا العنف ، وحيثما توجد هذه الحوائق العظيمة ، كيف يمكن أن توجد إمكانية للخلاص بدون خوف [١٩] ..

وبستطرد القديس يوحنا دهمي القم فيقول :

[أنت قد آمنت ، وقمت بأعمال فاضلة . وقد ارتقيت إلى فوق . إذن احترس نفسك . كن في خوف حيثما تقف . وتكن لك العين الحذرة ، لئلا تسقط . لأنه ما أكثر أمور الشر الروحية التي تعس على الإحاطة بك (أف ٦ : ١٢)] .

جينة هذه النصيحة التي يقول لنا القديس ذهبي نتم : إن عوائق كثيرة تعمل على الإحاطة بنا . لذلك ينبغي أن نتمم صلاصنا بخوف ورعدة .

٢٠ - تخاف لأنك لا تزال في الجسد ، ولأن حروباً كثيرة تعيط بك لإسقاطك ، ولأنك مهتد بأنك ستقطع إن لم تثبت . وتخاف بسبب ضعف طبيعتك وقوة أعدائك . كما أن الخوف يجلب لك الحرص والتدقيق ولا تضاع ، ويلصقك بالصلاة بالأكثر ، لتتألم معونة من فوق .

٢١ - وقد أكد القديس بطرس لرسول ضرورة هذا الخوف بقوله : « إن كنتم تدعون أباً ، الذي يحكم بغير محابة حسب عمل كل واحد ، فسيروا زمان غربتكم بخوف » (١ بط ١ : ١٧) .

نعم نسير بخوف ، لئلا يفقد أحد إكليله (رؤ ٣ : ١١) .. لئلا تمحى أسمائنا من سفر الحياة (رؤ ٣ : ٥ ؛ خر ٣٢ : ٣٣) ، لئلا تتزحزح صارتنا من مكانها (رؤ ٢ : ٥) . لئلا نعمل مثل الفلاطين : « بدأ بالروح ونكمن بالجسد » ! (غل ٣ : ٣) .

٢٢ - نحاف أيضاً ، لأن الخلاص ليس سهلاً ، فالرسول يقول :

« إن كان البار بالجهد يخلص ، فالفاجر والخطيئ أين يظهران » (١ بط ٤ : ١٨) . والإنسان البار هو مؤمن طمأ ، لأن « البار بالإيمان يحيا » (عب ١٠ : ٣٨) . فإن كان هذا المؤمن البار ، بالجهد يخلص ، أملا يخف المؤمن العادي ؟ !

٢٣ - ذلك لأنه لو كان الخلاص يتم في لحظة ، أو لو كان قد تم وانتهى الأمر ، ما كان هناك داعٍ للخوف .

ولكن الكتاب يقول : « أما البار بالإيمان يحيا . وإن ارتد ، لا تسر به نفسي » (عب ١٠ : ٣٨) . هناك إذن حتمل أن يرتد المؤمن ، ولا يسر به الله . حقاً إنه أمر يدعو للخوف ...

٢٤ - أيقول أحد إن المؤمن قد خُصص وضمن الخلاص ؟! ماذا نقول إذن عن هذا الذي يرتد بعد إيمانه ؟!

وقصص الإرتداد عن الإيمان كثيرة في الكتب ... وقد شرحنا هذه النقطة بالتفصيل في كتابنا « الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي » فلا داعي للاستفاضة فيها هنا . إما نقول : مادام هناك خوف من الارتداد ، إذن « سيروا زمان غربتكم بخوف » كما يقول الرسول (١ بط ١ : ١٧) .

زمان غربتكم

٢٥ - حينما قال لرسول : « سيروا زمان غربتكم بخوف » (١ بط ١ : ١٧) ، كن يقصد طبعاً طول مدة غربتنا على الأرض ، يرافقنا الحرص فيها طبعاً للخلاص . ولهذا فإن الكنيسة كانت باستمرار تهتم كيف فارق الإنسان هذا العالم ، وليس كيف بدأ حياته . ولذلك يقول القديس بولس لرسول عن الأمثلة التي تقتدى بها : « انظروا إلى نهاية سيرتهم ، فتمثلوا بإيمانهم » (عب ١٣ : ٧) .

وماذا تعني عبارة « نهاية سيرتهم » إلا أن الخلاص يشمل الحياة كلها حتى نهاية لسيرة ، بحيث لا نستطيع أن نحكم حين هذه النهاية ، التي فيها هؤلاء القديسون « اكملوا في الإيمان » .

٢٦ - فالخلاص ليس هو مجرد البدء ، إنما الاستمرارية حتى النهاية . ليس هو انتقالك من الموت إلى الحياة ، إنما استمرارك في الحياة . فقد تبدأ بالروح ، وتكمل بالجسد ، كما فعل الغلاطيون الأغبياء (غل ٣ : ٣) . ليس الخلاص في أن تصير قديساً ، إنما الخلاص هو أن تستمر في القداسة ، حتى تسلم وديعتك بسلام وتنتقل إلى الرب .

٢٧ - هوذا بولس الرسول يقدم لنا أهل أفسس كمثال : إنه يكتب رسالته إلى « لقسيسين الذين في أفسس (١ : ٨) . ومع ذلك يطلب

إليهم أن يسلكوا كما يليق بالدعوة التي دعوا إليها (١ : ٤) ، وأن يسلكوا بالتدقيق ، لا كجهلاء بل كحكماء (٥ : ١٥) . وشرح لهم حروب الشياطين (٦ : ١٠ - ١٨) . وقال هؤلاء القديسين : « آلبسوا سلاح الله الكامل ، لكي تقدرُوا أن تثبتُوا ضد مكابِد إبليس » (٦ : ١١) .

بل ما أعجب قول بولس الرسول إلى قديسي أفسس ، وهو يحذّرهم من الوقوع في الزنا والنجاسة والطمع وكلام السفاهة .

فيقول : « وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع ، فلا يسمّ بينكم كما يليق بقديسين . ولا القباحة ولا كلام السفاهة... » (٥ : ٣ - ٧) . أكان هناك خوف على هؤلاء القديسين أيضاً « لأنه بسبب هذه الأمور يأتي غضب الله صى أبدء المحصية ، فلا تكونُوا شركاءهم » (أف ٥ : ٦ ، ٧) .

إذن فالقديسون يحتاجون إلى سلاح وإلى حرب ، وإلى ثبات ، حتى يعلن الله خلاصهم في اليوم الأخير (١ بط ١ : ٥) .

٢٨ - فهل يجرؤ إنسان إذن أن يسأل غيره قبل الوقت ، ويقول له : "هل خلصت يا أخ ؟" . إن كان قد خلص ، وحلّص في لحظة سجلها في مفكرته ، فما معنى الجهاد إذن مدى الحياة ؟ وما معنى الحرب التي يتعرض لها القديسون ؟ وما معنى أن بعض القديسين سيفسدهم الوحش (رؤ ١٣) ؟ وما معنى سقوط ثلاثة من ملائكة الكنائس السبع (رؤ ٢ ، ٣) ؟ وما معنى حاجة المؤمنين إلى سلاح الله الكامل لكي يقدرُوا أن يثبتُوا ضد مكابِد إبليس (أف ٦ : ١٢) ؟

إن شعر أحد في لحظة أنه قد تخلص من محبة الخطية ، فليتضع هذا الشخص ولينسحق . فربما تعود إليه الخطية مرة أخرى ، وبصورة أشد وأبشع !

إن الشيطان ليس نائماً ، ولم يسلم سلاحه بعد . بل على العكس هو ما زال يحول كاسد يزأر (١ بط ٥ : ٨ ، ٩) . لذلك حياة القديسين هي حياة جهاد طوال « زمان غربتهم » على الأرض... حتى بولس الرسول نفسه ، لدى صعوده إلى السماء لثالثة وسمع كلمات لا يُنطق بها (٢ كو ١٢ : ٢ ، ٤) .

٢٩ - بولس الرسول العظيم يقول : « أجمع جسدى واستعبده ، حتى بعدما كرزت لآخرين ، لا أصير أنا نفسى مرفوضاً » (١ كو ٩ : ٢٧) !

هذا لتقديس المتواضع ، لم يقل أنا خلصت فى لحظة ، كما يقولها بكن جرأة أحد الشبان فى أيامنا ! بل انه يقول بكل اتضاع : « أسعى نحو الغرض ، لأحسن جمالة دعوة الله العليا » « أسعى بلى أدرك ، الذى لأجمله أدركنى أيضاً المسيح » (فى ٣ : ١٤ ، ١٢) .

٣٠ - ولا يقول هذا الكلام عن نفسه فقط ، بل يصممه كقاعدة أمانته ، بن أمام الكاملين منا فيقول :

« فليفتكر هذا جميع الكاملين منا فلنسلك بحسب ذلك القانون عينه ، ونفتكر ذلك عينه » (فى ٣ : ١٥ ، ١٦) .

إذن يا من تظن أنك نلت الخلاص فى لحظة ، انتظر قليلاً ولا تتسرع ... ربما تكون لحظة من النعمة قد مرت بك ، فأحسست شيئاً روحياً داخلك . وطننت أن نعمة تلك اللحظة قد صارت لك طبيعة الحياة كلها ...

إذن « لا تستكبر بل خُف » (رو ١١ : ٢٠) . وأمامك مثال :

٣١ - القديس تيموثاوس ، تلميذ بولس الرسول ، كمثال فى الخلاص :

كان هذا القديس من رجاء الإيمان المعروفين . وقد تربى تربية صالحة على يدي أمه وجدته (٢ تى ١ : ٥) وكان منذ طفولته يعرف الكتب المقدسة (٢ تى ٣ : ١٥) . وقد مبار بعد إيمانه أحد أساقفة الكنيسة ، وصار مساعداً لبولس الرسول فى كرازته الواسعة . ولقد قال عنه القديس بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس : « لأنه يعمل عمل الرب كما أنا أيضاً » (١ كو ١٦ : ١٠) .

ومع كل ذلك ، يقول له معلمه بولس :

لاحظ نفسك والتعليم ، وداوم على ذلك . لأنك إن فعلت هذا ، تخلف نفسك والذين يسمعونك أيضاً » (١ تى ٤ : ١٦) .

إذن القديس تيموثاوس الأسقف والمبشر والمعلم ومساعد بولس الرسول ، الذى يعمل عمل الرب كما هو أيضاً ... تيموثاوس رجل الإيمان ، كان محتاجاً إلى الخلاص ، وكان محتاجاً أن يلاحظ نفسه لكى يخلص ... وهذه الملاحظة للنفس كانت لابد أن تستمر على الدوام .

وقد جعل الرسول خلاص هذا القديس الأسقف مشروطاً بشروط : إن فعلت هذا تخلص نفسك . إن لاحظت نفسك والتعليم وداومت على ذلك ...

من يصبر إلى المنتهى

٣٢ - مادام موضوع الخلاص هو قصة العمر كله ، إذن علينا أن نجاهد باستمرار ، ونصبر على حروب العدو وهجماته .. وما هى حدود هذا الصبر؟ يقول السيد الرب :
« من يصبر إلى المنتهى ، فهذا يخلص » (مت ١٠ : ٢٢) .

وصبرة الصبر إلى المنتهى لكى يخلص الإنسان ، تعنى أن الخلاص لا يتم فى لحظة . وتعنى أن الصبر ليس له مدى محدد ، وإنما إلى المنتهى ، أى إلى « نهاية سيرتهم » . لأنه يحدث أحياناً أن تبرد محبة الكثيرين (مت ٢٤ : ١٢) ، ولا نستطيع أن نحصى عدد الذين يتركون محبتهم الأولى (رؤ ٢ : ٤) ، ويحتاجون إلى توبة ...

٣٣ - إن الإكليل لم يأت موعده بعد ، ففترة إختبارنا لا تزال قائمة . وسنظل فى هذا الإختبار مدى الحياة . وقد قال الرب : « كن أميناً إلى الموت ، فسأعطيكَ كِليل الحياة » (رؤ ٢ : ١٠) . وعبرة « إلى الموت » لا تنطبق عليها كلمة لحظة . وهذه الأمانة « إلى الموت » شرط لوال إكليل الحياة ...

٣٤ - وقد وعد بمنح الأكاليل لمن يعذب . والقلبة لا تحدد الآن . فطالما نحن فى حرب ، لا نستطيع أن نقول إنك خلصت . وإنما « لما تنتهى الحرب نكنس » ، كما يقال فى الترتيلة . ومتى تنتهى الحرب ؟ تنتهى بانتهاء الحياة على الأرض .

٣٥ - لا تحكم قبل الوقت . ولا تحكم باللحظات ، فباللحظات تتغير .

ربما ما تناله فى لحظة ، تفقده فى لحظة أخرى ! وما أخطر التعبير الذى شرحه الوحي

الإلهي بقوله: «مدة كل أيام لأرض برد وحر، صيف وشتاء، نهار وليل، لا تزال» (تك ٨ : ٢٢). ليتك إذن تصلى لكي لا يكون هربك في شتاء (مت ٢٤ : ٢٠).

لا تقل إذن: «إني خلصت في اليوم الفلاني» محددًا الساعة والدقيقة! بل الأفضل أن تصلى، لكي يديم الله عليك خلاصه حتى المنتهى، إلى نهاية سيرتك.

٣٦ - لا يكفي أن تبدأ ، إنما يجب أن تثبت وتستمر :

فالرسول يقول : « وأما النطف فذك ، إن ثبت في اللطف ، وإلا فانت أيضاً ستقطع » (رو ١١ : ٢٢). وهذه الثبات الذي يطلبه الرسول ، لا تحكم عليه لحظة ، إنما هو قصة الحياة كلها .

كنت ثبت في لحظة (فرصاً) ؟! هذا حسن جداً . ولكنك لن تخلص ، إلا إذا ثبتت في الثوبة . والزمن يحكم على هذه الثبات ...

حياتك تغيرت في لحظة ؟! حسن جداً ، ولكنك لن تخلص إلا إذا احتفظت بهذا التغير إلى أفضل ، حتى المنتهى .

٣٧ - مرت عليك لحظات مصيرية ، عرفت فرب الله ، أدركت فيها فناء العالم . هذا حسن ورائع ، إنما المهم أن تثبت . ولحظات لا يمكن أن تحكم على ثباتك ...!

أتراك تحولت من خاطيء إلى قديس ؟! حسن جداً ... ولكن الخلاص هو أن تثبت في هذه القدامة طول حياتك وتسلك كما يليق بالدعوة التي دعيت إليها ، جسداً يصح الرسول قديس أفسس (أف ٤ : ١ - ٣) .

وحتى إن كنت قد نلت خلاصاً بعن الرب معك ، وبجهاد طويل ويس في لحظة ، وممارسة أسرار الكنيسة وكل وسائل النعمة ... نصت إلى قول الرسول : «تمموا خلاصكم بخوف ورعدة» (في ٢ : ١٢) .

إن هذا الخلاص هو قصة العمر كله ...

خلاص في اليوم الأخير

٣٨ - إعلان الخلاص ليس عملك ، حتى تقول : " أنا خلصت " ، أو تقول عن غيرك " خلص فلان " . إنه عمل الله .

الله هو الذى يعلن الخلاص ، لأنه الديان العادل . يقول فى اليوم الأخير: « تعالوا يا مباركى أبى ، رثوا لثمتك المعد لكم من تأسيس العالم » (مت ٢٥ : ٣٤) أو يقول : « اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار المعدة لإبليس وملائكته » (مت ٢٥ : ٤١) . هو الذى يجلس على كرسى مجده ، ويفرز الخراف من الجداء ، والقمح من الزوان .. يقول الرسول :

« أنتم بقوة الله محروسون ، بإيمان ، خلاص مستعد أن يعلن فى اليوم الأخير » (١ بط ١ : ٥) .

٣٩ - ومادم لم يعلن ، وإعلانه من فم الله وحده ، إذن فلا نسبق الوقت ، ولا نُعلن نحن حكم الله استنظر .

الإعلان سيكون فى يوم الرب ، فى اليوم الأخير . ولذلك قال الرسول فى عقوبته لخطيئة كورنثوس :

« لكى تخلص الروح فى يوم الرب » (١ كو ٥ : ٥) .

ولم يقل الآن ... إنه خلاص « يُعلن فى اليوم الأخير » . وحتى لأكاييل النى نالها فى هذا الخلاص ، قال ارسوب : « وأخيراً وُضِعَ لى إكليل البر ، الذى يهبه لى فى ذلك اليوم ، الرب الديان العادل . وليس لى فقط ، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً » (٢ تى ٤ : ٨) .

هل أنت إذن قد خلصت ، أم تنتظر ذلك اليوم ، وتنتظر الإعلان أو الحكم من فم الديان العادل ؟

ودلك بعد أن تغلب ، وبعد أن تنتهى الحرب ..

أنت إذن طول عمرك تسعى للخلاص لكي تناله . وفي هذا يرى أن القديس بولس الرسول العظيم ، رجل الرؤى والمعجزات ، الذي صعد إلى السماء الثالثة ، والذي تعب أكثر من جميع الرسل ... هذا الرسول العظيم يقول :

« أسمى لعل أدرك ، الذي لأجله أدركى المسيح » (في ٣ : ١٢) .

إذن حياتنا في الأرض هي حياة سعى لكي ندرك . ويستمر هذا السعى بجهد مرير - طول العمر ، ومتى ينتهي هذا السعى ؟ ينتهي عند الموت . وبذلك فإن القديس بولس الرسول لم يستطع أن يقول : « جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعى » ، بل بعد أن قال عنها مباشرة « أنا الآن اسكب سكيناً ، ووقت انحلالى قد حضر » (٢ تي ٤ : ٦ ، ٧) .

أخشى إن قلت « أنا خلصت » أو « إني واثق » ... نهمل نفسك وتقع في اللامبالاة ، لأنه لماذا الجهاد ما دمنا قد ضمنت كل شيء ؟!

تذكر باستمرار قول الرسول : « إذن من يظن أنه قائم ، فينظر لئلا يسقط » (١ كو ١٠ : ١٢) .



الفصل السادس

اعتراضات

والروءى لها..

(١)

المغفرة بالدم وهذه

اعتراض .. والرد عليه

يقولون : التوبة لا تغفر الخطايا ، فهي محدودة ، والخطية غير محدودة . والمعمودية لا تغفر الخطايا ، إنما مغفرة الخطايا هي بدم المسيح وحده .

وبحق لا ننكر إطلاقاً أن المغفرة هي بالدم ، حسب تعليم الكتاب « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » (عب ٩ : ٢٢) . ولكن هذه المغفرة التي قدمها الدم ، نحصل عليها نحن بالمعمودية والتوبة . وهذا هو تعليم الكتاب نفسه وليس رأياً خاصاً لأحد .

وفي هـ قال لقيس بطرس لليهود في يوم الخمسين : « توبوا ، ويعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران خطايا .. » (أع ٢ : ٣٨) .

ومن جهة التوبة ، فقد قال عنها لسيد المسيح نفسه : « إن لم تتوبوا ، جميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٣ ، ٥) . وقال الآباء الرسل في موضوع قبول الأمم : « إذن أعطى الله لأمم أيضاً التوبة للحياة » (أع ١١ : ١٨) .

حقاً إن التوبة محدودة ، والمعمودية محدودة . ولكنهما تعطيان الاستحقاق لكفارة الدم غير المحدودة .

وكما أن الآباء الرسل ربطوا بين التوبة والحياة (أع ١١ : ١٨) كذلك السيد المسيح ربط بين المعمودية والخلص بقوله : « من آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) . إنما لا نفصل بين الدم ، والتوبة والمعمودية .

فهما مبنيتان على الدم . وبدون الدم لا مفعول لهما . ولكلهما مكان بصرفان من استحقاقات الدم . وهما اللذان يوصلان إلى استحقاق المغفرة التي قدمها الدم .

(٢)

الخلاص قد تم

اعتراض .. والرد عليه

يقولون إن الخلاص قد تم على الصليب من دينونة الخطية إلى الابد .

★ ★ ★

نعم إن عمل المسيح في الخلاص قد تم على الصليب . ومع ذلك فما زال البشر يسعون لنوال هذا الخلاص الذي تم على الصليب ، والذي له شروط لنواله ...

هو تم من جهة عمل المسيح . ولكن هل تم من جهتنا نحن ؟
هناك عمل بشرى يجب أن نقوم به نحن . لأن الله لا يفرض علينا الخلاص
فرضاً ، إنما نحن نناله بكامل إرادتنا ، بمسائط وضعها الله نفسه ومنها :

١ - الإيمان . فالخلاص الذي تم على الصليب ، نناله أولاً بالإيمان :

والسيد المسيح يقول : « إن لم تؤمنوا إنى أنا هو ، قوتون في خطاياكم » (يوحنا : ٨ : ٢٤)
وأيضاً : « لكى لا يهلك كل من يؤمنون به ، بل تكون لهم حياة الابدية » (يوحنا : ٣ : ١٦) .

الخلاص إذن تم ، ولكن لا يناله إلا من يؤمن . ولذلك قال بولس وسيلا لسجان فيلبى : « آمن بالرب يسوع ، فتخلص أنت وأهل بيتك » (أع ١٦ : ٣١) . ولم يقلوا له : افرح فالخلاص قد تم ، سواء آمنت أو لم تؤمن !

٢ - الخلاص تم . ولكن لا نناله إلا بالمعمودية :

وهذا هو تعليم الرب القائل : « من آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) . هل يمكن لإنسان أن يفرح باطلاً ويقول الخلاص قد تم ، بينما هو لم يؤمن ويعتمد !

٣ - والخلاص تم . ولكن إن لم نتب نهلك (لو ١٣ : ٣) .

حقاً إن الخلاص قد تم . ومع ذلك لم يخلص حنان وقيافا . ولم يخلص إسكندر الحداد الذى سيجازه الرب حسب أعماله (٢تى ٤ : ١٤) . ولم يخلص سيمون الساحر (أع ٨) ولا حنانيا وسعيرا (أع ٥) . ولم يخلص النيقولاويون (رؤ ٢ : ١٥) ولا إيزابل (رؤ ٢ : ٢٠) ولم تخص بابن العظيمة (رؤ ١٨ : ٢) .

٤ - الخلاص تم ، بمعنى أن السيد المسيح فتح باب الخلاص للذين يؤمنون

ويتوبون ويعتمدون ، ويسلكون حسب الروح وليس حسب الجسد (رو ٨ : ١) ويعيشون في شركة الروح القدس (٢ كو ١٣ : ١٤) ويكون لهم ثمار الروح (غل ٥ : ٢٢) . ولهذا يقول بولس الرسول إلى : « أحياء الله القديسين الذين في رومية » (رو ١ : ٧) « فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنّا » (رو ١٣ : ١١) .

٥ - هذا الخلاص الذى تم ، يكتننا عليه قول الرسول :

« كيف ننحون نحن ، إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره » (عب ٢ : ٣) .

كيف نستحق هذا الخلاص ؟ وكيف نقبله ؟ وكيف نناله ؟ وكيف نثبت فيه ، فلا نفقده ؟

إذن لا ينبغي أن نقول اخلاص قد تم ، ونقف بعيداً عنه !

٦ - وإن كان الخلاص قد تم وانتهى الأمر ، فلماذا قال بولس الرسول لتلميذه القديس تيموثاوس :

« لاحظ نفسك والتعليم ، وداوم على ذلك لأنك إذا فعلت هذا ، تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً » (١تى ٤ : ١٦) .

٧ - وإن كان الخلاص قد تم وانتهى الأمر ، فلماذا قال اليهود للرسول في يوم الخمسين : « ماذا نصنع أيها الرجال الاحوة ؟ » (أع ٢ : ٣٧) . ولماذا قال شاول لطرسموسى للمسيح : « ماذا تريد يارب أن أفعل ؟ » (أع ٩ : ٦) .

إذن هناك عمل بشرى يجب أن يعمل الإنسان :

عمل بعمه ، لكى ينال هذا الخلاص الذى تم ، ولكى يثبت في هذا الخلاص

مضى ناله . وغالبية البروتستانت للأسف الشديد ، يجاهلون هذا الجانب البشرى ،
الذى منه الإيمان والتوبة والمعمودية والأعمال الصالحة ، مع ان هذا الجانب البشرى فى
نفس الوقت ليس بشراً بحتاً ، إنما حمل الله أيضاً ووضح فيه ...

٨ - وإن كان الخلاص قد تم ، فلماذا ننتظره ونرجوه ؟

هذا الذى قال عنه القديس بولس الرسول « فإن سيرتنا نحن هى فى السموات ،
لئلى منها أيضاً ننتظر خلاصاً هو الرب يسوع المسيح ... » (فى ٣ : ٢٠) . وهذا الخلاص
الرجو يقول عنه الرسول : « لأننا بالرجاء خلصنا . ولكن الرجاء المنظور ليس خلاصاً .
لأن ما ينظره أحد ، كيف يرجوه أيضاً . ولكن إن كنا نرجو ما لسا ننظره ، فإننا
نتوقمه بالصبر » (روم ٨ : ٢٤ ، ٢٥) وعن هذا يقول القديس بطرس الرسول :

« خلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير » (١ بط ١ : ٥) .

٩ - وإن كان الخلاص قد تم . فما معنى قول السيد المسيح : « أنا الكرمة وأنتم
الأغصان ... إن كان أحد لا يثبت فى ، يُطرح خارجاً كالنصن ، فيجف ويجمعونه
ويطرحونه فى النار فيحترق » (يو ١٥ : ٥ ، ٦) . وهذا نفس الكلام الذى أُنذِر به
المعمدان قائلاً :

« كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً ، تقطع وتلقى فى النار » (مت ٣ : ١٠) .

١٠ - وإن كان الخلاص قد تم ، فلماذا يقول الكتاب :

« سبروا زمان غربتكم بخوف » (١ بط ١ : ١٧)

« تمموا خلاصكم بخوف ورعدة » (فى ٢ : ١٢) .

١١ - يقولون إن كفارة المسيح قد وفّت العدل الإلهى .

هذا حق ، بالنسبة إلى عمل المسيح من جهة الآب . أما من جهتنا ، فيجب أن
تكون لنا علاقة بهذه الكفارة التى وفّت العدل الإلهى . ويجب أن نسلك فى الطريق
الذى يهملنا مستحقين لهذه الكفارة .

١٢ - إن كان الخلاص قد تم ، فلماذا نقول فى صلاتنا :

« اغفر لنا ذنوبنا ، كما نغفر نحن أيضاً » ؟

إذن هناك ذنوب تحتاج إلى مغفرة . ونحن نطلب هذه المغفرة في كل صلاة ، حسب تعليم المسيح لنا (مت ٥ : ١٢) .

(٣)

لماذا نقول : قد خلصت ؟

اعتراض .. والرد عليه

يقولون : أليس الأرثوذكس يعتقدون انهم قد خلصوا في المعمودية ؟ لماذا إذن لا يقول كل شخص منهم : " أنا قد خلصت " ؟

★ ★ ★

لأن المعمودية إنما تخلصنا من الخطايا السابقة للمعمودية ... سواء الخطية الأصلية أو الخطايا الفعلية . ويبقى بعد ذلك طريق طويل أمامنا بصارع ونجاهد فيه حتى نخلص .

والخلاص من الماضي وحده فقط لا يكفي ..

فأنت قد تخلص بسر التوبة من خطية أو خطايا فعلتها في الماضي . ولكنك لا تستطيع أن تقول بصفة عامة " قد خلصت " ... ماذا إذن عن الحاضر بضعفاته وحروبه ؟ وماذا أيضاً عن المستقبل ؟

إن أمانات باقي العمر ، نجاهد فيه الجهاد الحسن ، ونكمل السعي (٢ تي ٤ : ٨) ، وضمن نصيب أعيننا قول الرسول : « سيروا رمان غربتكم بخوف » (١ بط ١ : ١٧) . وحتى إن مرت علينا فرة في التوبة ، حفظنا الله فيها بلا خطية ، نتذكر قول الكتاب :

« من يظن أنه قائم ، فلينظر أن لا يسقط » (١ كو ١٠ : ١٢) .

(٤)

مغفرة الى الابد

اعتراف .. والرد عليه

يقولون إن لموت الكفارى على الصليب ، منح عمرناً من دينونة الخطية إلى الابد .

نعم لقد قدم سيد المسيح بموته الكفارى كبراً من المغفرة ناله منه بسر التوبة ، فى
كل مرة . وليس من المعقول أن يعطينا الله فى يوم الايمان ، أو فى يوم المعاد ، غفراناً
لكل خطايا التى سنرتكبها فى المستقبل .

إنما كل خطية نسقط فيها ، تحتاج إلى توبة لمغفرتها ، ونحتاج إلى خلاص من
دينونتها .

فإن تبنا عنها ، واعترفنا بها وتركناها ، ننال المغفرة عن طريق التوبة ، فى
استحقاقات دم المسيح .

وليس هنالك اعفاء من الدينونة بدون توبة .

والكتب يقول : « لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح ، لينال كل واحد
منا ما كان بالجسد ، بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً » (٢ كور ٥ : ١٠) .



(٥)

حول فاعلية المعمودية

إعتراض

ورد في كتب « الاخوة البلاميس » مرات عديدة جداً :
إن المعمودية لا فاعلية لها على الاطلاق ، إنما هي لمجرد إشهار الإيمان ، أو
اعلان الإيمان !!

الرد على الاعتراض

ليس هذا هو تعليم الإنجيل ، الذى نتحدث فى عمق عن فاعلية المعمودية ، ولم يقل
مطلقاً إنها لإشهار الإيمان . ولا توجد أية واحدة تذكر . إنما توجد آيات عديدة تتحدث
عن فاعلية المعمودية ، نذكر من بينها :

١ - فاعلية المعمودية فى الخلاص :

وذلك واضح جداً من قول السيد المسيح له المجد : « من آمن وعتمد خلص »
(مر ١٦ : ١٦) .

٢ - فاعلية المعمودية فى غسل الإنسان من خطاياہ :

وذلك واضح من قول حنانيا الدمشقى لشاول الطرسوسى بعد لقائه مع السيد
المسيح : « أيها الأخ شاول ... لماذا تتوانى ؟ قم اعتمد واغسل خطاياك » (أع ٢٢ :
١٦) . أى أن شاول بعد لقائه مع المسيح ، وإيمانه ، واختياره من الرب ، كان لا يزال
محتاجاً أن يغسل خطاياہ ، بالمعمودية .

٣ - المعمودية لغفران الخطايا :

وهذا واضح من قول بطرس لرسول لليهود في يوم الخمسين : « توبوا وليتحد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا... » (أع ٢ : ٣٨).

٤ - المعمودية للميلاد من الله :

وهذا واضح من قول السيد المسيح ليقوديموس : « الحق الحق أقول لك : إن كان أحد لا يُولد من الماء والروح ، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥).

ولمن هذا ما قصده بولس الرسول أيضاً بقوله : « بل بمقتضى رحمته خلصتنا ، بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس » (تى ٣ : ٥).

٥ - المعمودية دفن مع المسيح ، وقيامه معه ، وختان روحي :

وقد ورد هذا في رسالة بولس الرسول إلى كورنثوس ، إذ يقول : « وبه أيضاً (أي بالمسيح) خُتِنْتُمْ خَتَاناً عَبرَ مَصْنُوعِ يَدٍ ، بَخَلْعِ حَسَمِ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ بَخْتَانِ الْمَسِيحِ ، مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ ، أَسَى فِيهَا أَقْتَمْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ ... وَذُ كُنْتُمْ أَمْوَاتاً بِالْخَطَايَا وَغُلْفِ جَسَدِكُمْ ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ ، مَسَاغُاً لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا ... » (كو ٢ : ١١ - ١٣).

والدفن مع المسيح والقيامة معه - بالمعمودية - ورد أيضاً في (رو ٦) كما سنذكر لأن...

٦ - بالمعمودية التجديد ، إذ ندخل بها في « جدة الحياة » :

وفي هذا يقول بولس الرسول لأهل رومية : « أم تجهلون أننا ، كل من اعتمد ليسوع المسيح ، اعتمدنا لموته ، فدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِمَوْتِ . حَتَّى كَمَا أَقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ بِمَجْدِ لَآبٍ ، هَكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضاً فِي جَدَةِ الْحَيَاةِ . عَالِمِينَ هَذَا أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ ، لِيُعْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيئَةِ ... » (رو ٦ : ٢ - ٦).

هنا ونعرض أيضاً لقول عوض سيمان ، الكاتب البلاموسي المشهور :

” بالنزول في الماء نعلن موتنا مع المسيح ، وبالصعود من الماء نعلن قيامتنا “.

فنتقول إن الكتاب لم يقل عن المعمودية إنها مجرد اعلان لموتنا مع المسيح وقيامتنا ... بل قال : متنا مع المسيح . قمنا معه . مدفونين معه بالمعمودية . إنساننا العتيق قد صُلب معه ...

النصوص واضحة وصريحة ، ولا يمكن تغييرها وتأويلها ، لجرد تأييد فكر بشرى خاص من جهة المعمودية . إنها موت حقيقى مع المسيح . موت للإنسان لعتيق ، وليست مجرد اعلان لموت ، وهى قيامة حقيقية مع المسيح ، قيامة لإنسان جديد ، فى جدة الحياة ، وليست مجرد اعلان للقيامة . تؤيد هذا شهادة كتابية أخرى وهى :

٧ - بالمعمودية نلبس المسيح :

حقاً ما أجل ، وما أعمق ، وما أروع ، قول القديس بولس الرسول عن المعمودية فى رسالته إلى أهل غلاطية :

« لأنكم كلكم الذين اعتمدتم للمسيح ، قد لبستم المسيح » (غل ٣ : ٢٧) .

أتريد فاعلية للمعمودية أكثر من هذا ؟ أم ننكر لآية أو نخفيها ، أو نفرها حسب هوانا ، لنثبت أفكاراً بشرية بعيدة عن الإنجيل فى فهم المعمودية ؟

ها هى النصوص المقدسة واضحة عن فاعلية المعمودية ، ولا يوجد نص واحد يقول إنها مجرد إشهار للإيمان ! ...

وَمَنْ لَهُ أذنانَ لِلسَّمْعِ فَيَسْمَعِ (مت ١٣ : ٩ ، ٤٣) .



(٦)

هول القسيل المعمودية

اعتراض .. والرد عليه

يقولون إن المعمودية لا تغسل إلا الأجساد ، ولا تأثير لها على النفس !

١ - لم يقل الكتاب إطلاقاً إن المعمودية هي لغسل الجسد !

بل إن هذه النقطة يرد عليها القديس بطرس الرسول بقوله عن رموز الفلك : « إذ كان الفلك يُبنى ، الذى فيه خلص قليلون أى ثمانى أنفس بالماء ، الذى مثاله يخلصنا نحن الآن ، أى المعمودية . لا لإزالة وسخ الجسد ، بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح » (١ بط ٣ : ٢٠ ، ٢١) .

٢ - وعبرة « لا لإزالة وسخ الجسد » ترد على عبارة « المعمودية لا تغسل إلا الأجساد » .

وعبرة « يخلصنا » تدل على أننا ننال الخلاص فى المعمودية ، حسبما قال الرب فى (مر ١٦ : ١٦) .

ويرد على عبارة أن المعمودية هي لغسل الجسد ، قول القديس حنايا الدمشقى لشاول الطرسوسى بعد إيمانه :

٣ - « لماذا تتوانى ؟ قم اعتمد واغسل خطاياك » (أع ٢٢ : ١٦) .

وواضح طبعاً أن غسل الجسد ليس هو غسل الإنسان من خطاياء ، إنما الغسل من الخطايا هو غسل للروح ، وتنقية لها وتطهير وتبرير وتجديد . ويؤيد هذا ما قاله القديس بولس فى عبارة :

٤ - « خلصنا بغسل الميلاد الثاني ، وتهديد الروح القدس » (تى ٣ : ٥) .
٥ - إن غسل الجسد فقط يمكن أن يدعيه البعض ، إن كان الأمر هو المعمودية من الماء ، ولكنها من الماء والروح .

ولقد قال السيد المسيح : « إن كان أحد لا يُولد من الماء والروح ، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) . إنه ليس ماء ساذجاً ، ذلك الذى يغطس فيه الناس في المعمودية ، إنما نضع فيه من زيت المسحة المقدسة ، مسحة الروح القدس (١ يو ٢ : ٢٠ ، ٢٧) . وبالصلاة يأخذ الماء طبيعة جديدة ، لكي يكون من يُولد منه ، يُولد من الماء والروح .

٦ - ولو كانت المعمودية لمجرد غسل الجسد ، ما كان بطرس الرسول يطلب من اليهود أن يعتمدوا لمغفرة الخطايا (أع ٢ : ٣٨) .
إن غسل الجسد فقط لا يغفر لخطايا .

٦ - وإن كانت لغسل الجسد فقط ، ما كان السيد المسيح يجعلها وسيلة فنال بها الخلاص ، حسب قوله في (مر ١٦ : ١٦) .
إن مجرد غسل الجسد ، لا يخلص الإنسان !

إذن فهذا الاعتراض من جانب الإخوة الهلاميي ، لا يتفق مطلقاً مع تعليم المسيح ورسله القديسين في الإنجيل المقدس . ويؤسفنى أن يترك البعض آيات الكتاب يقدموا فكرهم اخاص بدلاً منها ، أو أنهم يسخرون الآيات لخدمة فكرهم !

(٧)

وأيضاً حول الغسل المعمودية

إعتراض

يقولون إن الذي يغسل الخطايا هو الدم ، وليس المعمودية ، بدليل قول الكتاب في سفر الرؤيا عن السيد المسيح : «الذى أحبنا ، وقد غسلنا من خطايانا بدمه ...» (رؤ ١ : ٥) .

الرد على الاعتراض

إننا لا ننكر مطلقاً أننا نغتسل من خطايانا بدم المسيح . ولكننا نغتسل بدمه في المعمودية ..

إن المؤمن حينما يغسل خطاياه في المعمودية ، حسب تعليم لكتاب (أع ٢٢ : ١٦) إنما هو في المعمودية يغتسل بدم المسيح ، ولا فاصل بين الأمرين . بدليل أنه في المعمودية يموت مع المسيح ، ويُدفن مع المسيح .
لقد وضع الرب أن غسلك بالدم يتم بغسل المعمودية .

والأمر كان عليك أن تذكر الآية التي تقول : « قم عتمد وغسل خطاياك » (أع ٢٢ : ١٦) وباقي الآيات التي تحمل نفس المعنى .

لماذا هذا الأسلوب الذي يعتمد على آية واحدة ، ويهمل كل الآيات الأخرى التي يتكامل بها المعنى ؟! ليس هذا هو الحق الإنجيلي . فأنصف احقائق ليست كلها حقائق !

في التوبة أيضاً يغتسل الإنسان من خطاياه ، بدم المسيح .

هل يعترض أيضاً الإخوة البلاميس على مفعول التوبة في غسل الخطايا ، قائلين إننا
نغتسل من خطايانا بالدم !!

إن المعمودية تأخذ من استحقاق الدم . والتوبة أيضاً تأخذ من استحقاق الدم .
وكل الحياة المسيحية تقوم على أساس دم المسيح . والنعمة أيضاً تعطينا من استحقاق
لدم .

فهل ننكر مفعول المعمودية والتوبة والنعمة ، ونرتل قائلين : « مغسولين بالدم
الكريم » ؟! ونهمل آيات الكتاب الخاصة بالمغفرة !

إن الدم هو الأساس ، والمعمودية والتوبة والنعمة وسائط . الدم هو العمل الإلهي
الفدائي الذي قدم لنا . والمعمودية والتوبة تدخلان أيضاً في الجواب اشترى المطلوب
منا ، لاستحقاق عمل الدم من أجلنا .

يمكننا إذن لتسيط المعنى وتوضيحه ، أن نقول :

إننا نغسل من خطايانا بدم المسيح ، في المعمودية .

ونفس العبارة يمكن أن نقولها عن التوبة والاعتراف ، ونقولها أيضاً عن سر
الاضغاثستيا .

ولكن الإخوة لبلاميس ، ومن يجرى أيضاً في تيارهم لفكرى ، يسودون فيقدمون
اعتراضاً آخر حاصلاً بالمعرة :



(٨)

المغفرة بالإيمان

إعتراض

يقولون إن المغفرة تتم بالإيمان ، بدليل قول الرب :

« حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا » (أع ٢٦ : ١٨) . وأيضاً قول الآباء الرسل : « له يشهد جميع الأنبياء ، أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا » (أع ١٠ : ٤٣) .

الدعوة على الاعتراض

طبعاً بالنسبة إلى غير المؤمنين لا بد من التركيز على الإيمان . لأنه لا يجوز له المعمودية ، وتوبته بدون المسيح - إن تاب - لا تمنحه مغفرة (بغير الدم) .

وهاتان الآيتان المستخدمتان (أع ٢٦ : ١٨ ، أع ١٠ : ٤٣) ، كلاهما عن قبول الأمم ، الذين لا بد من تبشيرهم بالإيمان ، قبل أى حديث معهم عن العقائد التى هى داخل الإيمان .

فالإيمان هو الخطوة الأولى التى تقودهم إلى المغفرة .

لأنهم مهما تابوا يقف أمامهم قول السيد المسيح : « إن لم تؤمنوا أنى أنا هو ، تموتون في خطاياكم » (يو ٨ : ٢٤) . فإن آمنوا تكون توبتهم حينئذ قيمة ...

وإن آمن هؤلاء الأمم ، يقودهم الإيمان إلى المعمودية والمغفرة :

ولنأخذ مثال شاول الطرسوسى ، من اليهود وليس من الأمم .

لقد تقابل مع السيد المسيح في طريق دمشق ، وتحدث معه قسماً لأذن . ومن ، وقال : « ماذا تريد يا رب أن أفعل » (أع ٩ : ٦) . فأرسله الرب إلى حنانيا . وقال له حنانيا : « أيها الأخ شاول .. لماذا تتواني ؟ قم اعتمد واعمل خطاياك » (أع ٢٢ : ١٦) .

فإن كانت خطايا شاول قد غُفرت بالإيمان ، فلماذا طُلب إليه أن يغتسل منها بعد ذلك بالمعمودية ؟

أليس هذا دليلاً على أن شاول - بعد إيمانه - بقيت خطاياهُ تنتظر المعمودية لكي تفسله منها ؟

« من له اذان للسمع فليسمع » (لو ١٤ : ٣٥) .

وأحب أن أقول للإخوة البلاميس : إلى حوار هذه الآيات التي عن المغفرة بالإيمان ، ضموا الآيات التي عن المغفرة بالمعمودية ، وهي كثيرة منها (أع ٢ : ٤٣٨ ، أع ٢٢ : ١٦) . وصعدوا أيضاً الآيات الخاصة بالتوبة مثل (لو ١٣ : ٣ ، ٥ ، أع ١١ : ١٨) . ولا تستخدموا أسلوب (الآية الواحدة) لأنه لا يوصل إلى عقيدة .

هنا وأحب أن أتمس في آذانكم بكلمة صريحة هي :

أنتم تقولون إن المغفرة بالدم وحده ، وليس بالمعمودية ولا بالتوبة ! فلماذا تقولون الآن إن المغفرة بالإيمان ؟

حقاً إن المغفرة هي بالدم . والإيمان وسيلة ، والمعمودية وسيلة ، والتوبة وسيلة . وهذه الوسائل الثلاث لازمة للمغفرة . ويمكن أن نضع أمامنا أيضاً قول الرب : « اغفروا ، يغفر لكم » (لو ٦ : ٣٧) « إيا لم تعمروا للناس زلاتهم ، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم » (مت ٦ : ١٥) . على أن هاتين الآيتين الأخيرتين يمكن وضعهما أيضاً ضمن (التوبة) ، إننا ذكرناهم من جهة التوجيه إلى بعض التفاصيل .

فإن آمن شخص ، ولم يغفر لأخيه ، أترى ينال الغفران ؟

ألسنم توافقون معي ، على أن الحق هو كل الحق ؟ ..

حقاً إن ثمن الخلاص هو الدم ، وليس ثمنه المعمودية ولا التوبة . وكذلك ليس ثمنه الإيمان ، لأن الخلاص هو هبة مجانية ، كقول الكتاب : « متبررين مجاناً بنعمة بالقضاء » (روم ٣ : ٢٤) . ولأنه أيضاً « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » (عب ٩ : ٢٢) .

ولكن الإيمان والمعمودية والتوبة ، وسائل أساسية لازمة لنوال استحقاقات الدم . وبدونها لا نستفيد من دم المسيح القادر على مغفرة خطايا العالم كله .

انظروا هوذا دم المسيح أمامنا ، يستطيع أن يظهر من كل خطية . ولكن الرسول يضع لهذا التطهير شروطاً فيقول : « إن سلكنا في النور كما هو في النور ، فلنا شركة بعضنا مع بعض ، ودم يسوع المسيح ابنه يظهرنا من كل خطية » (١ يو ١ : ٧) - « إن اعترفنا بخطايانا ، فهو أمين وعادل ، حتى يغفر لنا خطايانا ، ويظهرنا من كل إثم » (١ يو ١ : ٩) .

إذن المغفرة بالدم . ولكن هناك شروطاً لنوال هذه المغفرة . ومن ضمن هذه الشروط : الإيمان ، والمعمودية ، والتوبة .

ومن ضمن الشروط كما يقول الكتاب : أن نغفر لغيرنا ، وأن نسلك في النور ، وأن نعترف بخطايانا ... وهذه النقاط الأخيرة لا مانع من ادماجها في شرط التوبة .

(٩)

حول المغفرة بالمعمودية

اعتراض .. والرد عليه

يقولون : المغفرة بالمعمودية تحول الغفران من عمل باطنى للتوبة والإيمان ، إلى عمل سطحي !

ونجيبهم بأن هذا الكلام يصح ، لو كانت المعمودية بدون إيمان ، وبدون توبة ! ونحن نطلب من المتقدم إلى المعمودية ، أن يجحد الشيطان (لتوبة) ، وأن يعترف بالإيمان . وإن كان طفلاً ، يتوب أحد والديه عنه في ذلك .

وهذا ما فعله القديس بطرس الرسول مع الذين آمنوا من اليهود ، ونخسوا في قلوبهم . قال لهم إلى جوار إيمانهم «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لمغفرة الخطايا» (أع ٢ : ٣٨) . وهكذا اجتمع لإيمان والتوبة والمعمودية معاً لنوال المنفعة .

(١٠)

الإيمان ونوال الروح القدس

إعتراض

إنهم كما يحاولون إلغاء سر المعمودية ، أو ما لهذه المعمودية من فاعلية ، يحاولون أيضاً إلغاء سر المسحة المقدسة .

فيقولون إن الإيمان هو وسيلة لحلول الروح القدس . ويعتمدون في ذلك على قول الرب : «من آمن بي - كما قال لكتاب - تجرى من بطنه أنهار ماء حى . قال هذا عن الروح القدس كان المؤمنون به مزعمين أن يقبلوه . لأن لروح القدس لم يكن قد أعطى بعد...» (يو ٧ : ٣٨ ، ٣٩) . ويعتمدون أيضاً على قول القديس بولس الرسول في رسالته إلى أهل أفسس : «... إذ آمنتم ، ختمتم بروح الموعد القدوس» (أف ١ : ١٣) .

الرد على الاعتراض

إن الروح القدس لا يناله المؤمن بمجرد إيمانه ، بل ينالوه كخطوة تالية للإيمان . وقد تكون بينهما فترة طويلة .

ونفس النص الذى أورده الإخوة البلاميس يحمل هذا المعنى ، إذ ورد فيه « قال هذا من الروح الذى كان المؤمنون به مزعمين أن يقبلوه ، لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد » (يو ٧ : ٣٩) . إذن هؤلاء المؤمنون به ، لم ينالوا الروح القدس بمجرد إيمانهم ، وإنما كانوا مزعمين أن يقبلوه ...

ومتى قبلوا الروح القدس ؟ ... قبلوه فى يوم الخمسين كالآباء الرسل ، أو بعد الخمسين مثل كثير من المؤمنين الآخرين .

إنه عطية من الله ينالها المؤمن بعد الإيمان ، وبعد المعمودية أيضاً . ولهذا قال القديس بطرس لليهود بعد إيمانهم فى يوم الخمسين : « توبوا ، وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لمغفرة الخطايا ، فقبلوا عطية الروح القدس » (أع ٢ : ٣٨) .

إذن الإيمان والتوبة والمعمودية ، ثمهد لقبول الروح القدس .

وكان الروح القدس يُمنح فى بداية عصر الرسل ، بوضع يد الرسل . ثم صار يمنح بالمسحة المقدسة ، كما شرح القديس يوحنا الرسول فى رسالته الأولى « وأما أنتم فلکم مسحة من القدوس .. » (١ يو ٢ : ٢٠) « وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم .. » (١ يو ٢ : ٢٧) .

وسفر أعمال الرسل يقدم لنا مثالين يثبتان أن الروح القدس ما كان ينال مع الإيمان ، وإنما هو عطية مستقلة تماماً ، قد ينالها المؤمنون بعد فترة من إيمانهم . وهذان المثالان هما إيمان السامرة (أع ٨) ، وإيمان أفسس (أع ١٩) .

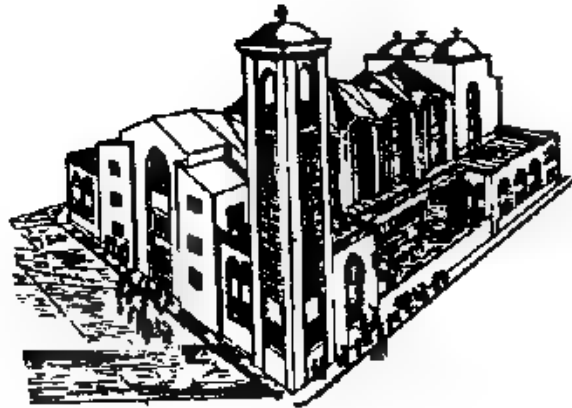
أ - قبل عن إيمان السامرة : « ولما سمع برسل الذين فى أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله ، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا ، اللذين لما نزلا صلبا لأجلهم لكى يقبلوا الروح القدس . لأنه لم يكن قد حلّ على أحد منهم ، غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع . حيث وضعوا الأيدى عليهم ، فقبلوا الروح القدس » (أع ٨ : ١٤ - ١٧) .

هؤلاء كانوا مؤمنين ومعتمدين ، ولم يكن الروح القدس قد حلّ على أحد منهم . وقالوه بوضع ايدى الرسل فيما بعد .

ب - أما من جهة تلاميذ أنفسى ، فإن بولس الرسول سألهم : « هل قبلتم الروح القدس لا آمتتم ؟ » . فأجابوه : « ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس » (أع ١٩ : ٢) . وكانوا قد اعتمدوا بمعمودية يوحنا ... « فاعتمدوا باسم الرب يسوع . ولما وضع بولس يديه عليهم ، حل الروح القدس عليهم » (أع ١٩ : ٥ ، ٦) .

وهؤلاء كانوا قد آمنوا فقط . وعلى الرغم من إيمانهم ، ما كانوا يعلمون أنه يوجد الروح القدس . والإيمان لم يهبهم الروح .. كما يدعى الإخوة البلاغيين !
لذلك اعتمدوا أولاً ، ثم قبلوا الروح القدس بوضع يد الرسول القديس بولس . وبالنسبة إليهم كان الإيمان عملاً مستقلاً عن المعمودية عن قبول الروح ...
إن الإيمان مجرد تمهيد لقبول الروح . ولا ينال الروح إلا من آمن أولاً . وحيث ينال الروح بعد المعمودية .

ولما قال الرسول : « إذ آمتتم ، ختمتم بروح الموعد » (أف ١ : ١٣) ، إنما قصد أن الإيمان كان التمهيد لحتمهم بالروح .



الفصل السابع

هَلْ خَلَصَ هُوَلَا

فِي لِحْظَةٍ ١٩

- العشار .
- الإبراهيم الضال .
- ركسا .
- سحان فيسي .
- الهنس اليمين .

لبن العسل

أرأى أحدهم نبذة بروتستانتية عنوانها من الخارج هو : « بدعة الخلاص في لحظة » . أما في داخلها ، فدفاع عن هذه البدعة يختتم بعبارة : " إذن الخلاص في لحظة حقيقة مؤكدة " !!

وعرفت أن القصد من عنوان البذرة هو محاولة لإعطائها صورة أرثوذكسية من الخارج تغري الأرثوذكس بقراءتها ، كما لو كنت صادرة من الكنيسة ! بينما في داخلها تعليم غير أرثوذكسي !!

ولست حالياً بصدد الحكم على هذا الأسلوب في الشر ، ومدى روحانيته ، ومدى صراحته في الإيمان (١ : ٢) ... إنما سأعرض للموضوع ذاته ، وأناقش النقاط الأساسية فيه .

وستتناول الأمثلة التي ذكرها الكاتب بالتتابع . وفي مقدمتها : العشار والابن الضال ، وهل خلص كل منهما في لحظة ؟

للمثلين هدف آخر :

لم يكن لسيد المسيح في أتى من هذين المثلين يشرح عقيدة الخلاص ، إنما كان في أحدهما يتحدث عن أهمية الانزعاع ، وفي الثاني يتحدث عن أهمية التوبة .

هل يرى اخوتنا البروتستانت أن الانزعاع والتوبة هما سبب الخلاص ؟! إذ لم يذكر في مثل العشار ، ولا في مثل الابن الضال ، أى شيء عن الإيمان ، ولا عن الغداء والكفارة ودم المسيح !

وذلك لأن لكل منهما هدفاً آخر . فلماذا إذن يستخدم كلام الكتاب في غير موضعه ؟ وما هي المناسبة الخاصة بكل من هذين المثلين ؟

هل يخلص العشار في لحظة

أما عن مثل العشار، فيقول تقيس لوقا الإنجيلي عن الرب :
« وقال لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار ، ومحتقرون الآخريين ، هذا المثل :
إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصليا ، واحد مريسي والآخر عشار... » (لو ١٨ : ٩ ،
١٠) . وانتهى المثل بعبارة : « لأن كل من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه
يرتفع » .

هنا إذن تركيز على مقارنة بين الكبرياء والاتضاع ... أو مقارنة بين الافتخار
والانسحاق ... وكيف أن الإنسان ينحفض ويُدان بالكبرياء والافتخار، بينما يتبرر
بالاتضاع والانسحاق .

ولكن لاختوة البروتستانت الذين ينادون بأن التبرير بالإيمان ، يركزون هنا على
عبارة : « نزل إلى بيته مرراً دون ذلك » التي قُيِّمت عن العشار بسبب اتضاعه
وانسحاقه !

فهل هم يؤمنون أن التبرير يكون بالاتضاع ؟!

إن الاتضاع عمل ، والانسحاق عمل ، والاعتراف بالخطية عمل . فهل
يخلص العشار بأعماله ؟ وما مركز النعمة هنا ؟ وما مركز الدم والكفارة
والفداء ؟ حيث لا إشارة إلى شيء من كل هذا !!

إن عبارة : « نزل مرراً دون ذلك » ، تعني ببساطة أن الرب يقبل توبة المتضعين
المنسحقين بقلوبهم ، ويرفض افتخار المتكبرين . أو نعني أن الله يرفع المتضعين ،
وينحفض المتكبرين ، كما يُفهم من ختام هذا المثل (لو ١٨ : ١٤) .

إن الرب لم يضرب هذا المثل إطلاقاً لشرح قضية الخلاص ، أو ليذكر أن
الخلاص يمكن أن يتم في لحظة .

ومع ذلك فإن في هذا المثل معنيين أرثوذكسين :

أولهما الاعتراف بالخطية ، والثاني هو الصلة بالهيكل (بالكنيسة) .

لقد ذهب العشار إلى بيت الرب ، ليعترف بخطيته ، ويشرح عدم استحقاقه
وقف من بعيد ، لا يشاء أن يرفع عينه إلى السماء ، ثم قرع صدره واعترف بخطيته لم
(يطالب بحقوقه) كما يفعل البعض !! إنما طيب الرحمة في إنسحاق ، وشعور بعدم
الاستحقاق ...

هنا يعترض البعض بأن العشار خلص بدون المعمودية وتناول !

فنرد عليهم بأنه ما كان ممكناً في هذا المثل التحدث عن أسرار الكنيسة ،
لأنها لم تكن قد تأسست بعد ، فأسرار الكنيسة تأسست على دم المسيح ، الذي
لم يكن قد سُفك بعد !!

المعمودية هي موت وقيامة مع المسيح (روم ٦ : ٤ ، ٥) . والمسيح عندما قال هذا
لمثل ، لم يكن قد مات بعد .. ما كان ممكناً للعشار أن يقول عن المسيح مع الرسل :
« مدفونين معه بالمعمودية » (كو ٢ : ١٢) . وهكذا أبصاً عن باقى الأسرار التى
تأسست على استحقاقات دم المسيح ..

كذلك لم يكن الحديث عن الأسرار هو هدف هذا المثل .

إنما كان قصده تبييت قوم « واثقين بأنفسهم أنهم أبرار ، ويحتقرون لآخرين » .
ومع كل هذا ، لا مانع من أن نرجع إلى السؤال الأساسى وبرد عليه وهو :

هل يفهم من المثل أن العشار نال الخلاص في لحظة ؟

إن إنسحاق العشار وتوبته واعترافه وطيبه ارحمة ، كل ذلك يعطيه استحقاقاً
للمغفرة ، كأي استحقاق للمغفرة في العهد القديم ، ينتظر دم المسيح لعدد أجره
الخطية .

فلو عاش عشار مسحق وتائب ومعترف مثل هذا أيام المسيح ، لكان عليه - لكى
بيان الخلاص - متى تأسست الكنيسة ، بعد لقاء وحلول الروح اقدس ... أن يذهب
ويعلن إيمانه بالمسيح المصلوب القائم ، وينال المعمودية لمغفرة الخطايا (أع ٢ : ٣٨) .

وبهذا لا يكون قد خُص في لحظة ، لأنه « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » (عب ٩ : ٢٢) .

أما لو كان هذا العشار قد عاش ومات قبل صلب المسيح ، لكان عليه أن ينتظر في الجحيم ، إلى أن يخرج به الرب بعد الصلب مع آدم والأنبياء وبقى القديسين ، ولا يكون قد خُص في لحظة ...

هل خلاص الابن الضال في لحظة

كما كان هدف مثل العشار هو التواضع ، وليس الخلاص (يو ١٨ : ٩) ، كذلك مثل الابن الضال ، بن كل الاصحاب ، عن التوبة (لو ١٥) .. وليس عن الخلاص .

كان الفريسيون والكتبة قد تدمروا لأن لمسيح يقبل إليه لعشارين والخدعة (لو ١٥ : ١ ، ٢) ، فذكرهم الرب ثلاثة أمثلة عن رجوع الخطاة ، هي : لخروف الضال ، والدرهم المفقود ، والابن الضال ... كلها قصص عن سعى الرب وراء الخطاة وردهم ، وقبول الراجعين منهم ...

إنها قصص عن التوبة ، وليست قواعد عقائدية للخلاص ...

ومع ذلك ، فإن قصة الابن الضال ، تحوى رموزاً عميقة ..

فلنتأمل إذن هذا المثل ، ونفحص اتوبته التي فيه .

لقد مرت على الابن لحظات مصيرية ، جلس فيها إلى نفسه ، وبحث حالته ومصيره ، وقرر لتوبة ..

إنها لحظات مقدسة بلا شك ، ولحظات مصيرية ، ولكنها ليست لحظات خلاص . لأن الخلاص لا يتم في لحظة ولا لحظات !

إن الجلوس مع نفس شيء ، وقرار المصير شيء ، واتوبة شيء . ولكن الخلاص شيء أكبر من هذا كله . وهنا يبدو الفرق الواضح العميق بين التفكيرين الأرثوذكسي والبروتستانتي .

في التفكير البروتستانتي : خلاص مجرد علاقة فردية بين الإنسان والله ، لذلك يرون أنه يمكن أن يتم في لحظة .

أما في العقيدة الأرثوذكسية ، فإن للكنيسة دوراً في الخلاص ، باعتبارها أمنية على نعم الروح القدس التي في الأسرار المقدسة .

وهكذا يكون للكنيسة دور ، كوكيل لله (نى ١ : ٧) . وباتى لا يمكن أن يتم الخلاص في لحظة .

لقد جنس لاين بضال مع نفسه ، واستعرض سوء حالته ، وقرر التوبة . ولكن هذه اللحظات المصيرية المقدسة ، لم تكن لحظات خلاص .. فماذا ؟

أولاً ، لأنه كان لا يزال في أرض بعيدة ، بعيداً عن الآب وعن حضن الآب ، وعن بيت الآب الذى هو الكنيسة . ولا يمكن أن يتم الخلاص ، وهو بعيد عن الآب ...

وقد شعر هو بهذا وبأبعيته ، فقال : « قوم واذهب إلى أبى ، وأقول : أخطأت » (لو ١٥ : ١٨) . وقام وذهب إلى أبه .

رجوعه إلى بيت الآب ، معناه رجوعه إلى الكنيسة . فالخلاص يتم في بيت الآب . لذلك اشترك العبيد في القصة ، وهم يرمزون هنا إلى الكهنة .

قال الأب لمبيه : « انخرجوا الحلة الأولى والبسوه . واجعلوا خاقاً في يديه ، وحذاء في رجليه . وقدموا العجل المسمن واذبحوه ، فتأكل ونمرح » . وقال هذا قبل أن يقول : « لأن ابنى هذا كان ميتاً فعاش ، وكان ضالاً فوجد » .

لنرى ماذا تحمل هذه التفاصيل ، من رموز وطقوس ؟

لبس الحلة الأولى يرمز إلى المعمودية ، وإلى البر .

يرمز إلى المعمودية ، إذ كان المثل عن غير المؤمنين . فالابن الضال يرمز إلى الأمم الذين تغربوا عن الرب في كورة بعيدة ، بينما الابن الأكبر يرمز إلى اليهود ..

ولبس الحلة هنا يذكرنا بقول الرسول : « لأنكم جميعاً الذين اعتمدتم للمسيح ، قد لبستم المسيح » (غل ٣ : ٢٧) .

والحلة الجميدة ترمز أيضاً إلى « نبررات القديسين » بالنسبة إلى المؤمنين (رؤ ١٩ : ١٨ حز ١٦ : ١٠ أف ٦ : ١٤) . ونلاحظ أن هذا البرق (حز ١٦) جاء بعد المعمودية والميرون . بعد « فحمتك بالماء » أى المعمودية « ومسحتك بالزيت » أى الميرون . ثم « ألبستك .. » (حز ١٦ : ٩ ، ١٠) .

أما الأكل من العجل المسمن المذبوح ، فيرمز إلى 'الافخارستيا' .

ونلاحظ أن هذا قد تم . فى مثل لابن الضال . بعد التوبة والاعتراف وانسحق القلب . بعد قوله : « أخطأت ... ولست مستحقاً أن أدعى لك ابناً » ...

ونلاحظ أيضاً أن ذبح وتقديم العجل المسمن ، تم بواسطة عبيد الآب ، أى رجال الكهنوت ، الذين لهم دور فى القصة .

كما أن ذبح العجل يعنى سفك الدم ، ويذكرنا بقول الرسول : « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » (عب ٩ : ٢٢) .

ما كان ممكناً لابن الضال أن يخلص قبل ذبح العجل المسمن ، وسفك دمه والتناول منه ..

أما الختام فى يده فيرمز إلى البنوة ، وإلى أن نفسه قد صارت عروياً للمسيح .

والخذاء فى رجله ، يرمز إلى حفظ الوصايا (أف ٦ : ١٥) .

وهكذا نرى أن قصة الابن الضال قد شملت :

أ - الرجوع إلى النفس ولومها ، والتوبة ، والاعتراف والانسحاق .

ب - الرجوع إلى الكنيسة ، إلى بيت الآب وحضن الآب .

ج - المعمودية ، والبر .

د - تناول سر الافخارستيا ، وحفظ الوصايا .

هـ - مشاركة عبيد الآب الذين هم رجال الكهنوت .

وواضح أن كل هذا ، لم يتم فى لحظة ...

ومن له اذنان لسمع فليسمع ... (مت ١٣ : ٩) .

هل هناك مكان في الجنة

قصة زكا تشبه قصة سجان فيليبس في عبارة : « اليوم حصل خلاص لهذا البيت » (لو ١٩ : ٩) . وتزيد عليها تفاصيل عديدة في قصة توبة زكا ، لا يمكن أن تتم في لحظة .

ومع أن كلمة « اليوم » لا تعنى كلمة (لحظة) ، إلا أننا سنبحث تفاصيل القصة لنرى على أى شيء تدل ؟...

تشرح القصة : سعى زكا إلى المسيح .. رغبته ، ساطته ، صعوده إلى الجحيمية ، ودعوة الرب له : « سرع وانزل لأنه ينبغي أن أمكث ليوم في بيتك » ، وأسرع زكا ونزوله ، وقبوله للرب فرحاً . وحتى بعد كل ذلك لم يكن الرب قد قال : « اليوم حصل خلاص لهذا البيت » .

وبما زكا أخذ لرب إلى بيته ، ودخل الرب بيته ، « فلما رأى الجميع ذلك ، تدمروا قائمين : إنه دخل ليسيت عند رجل خاطيء » (لو ١٩ : ٧) .

ومع أن اللقاء عند الجحيمية ، وما قبل الجحيمية من مشاعر ، والدعوة ، والذهاب إلى البيت .. لا يمكن أن يتم كل ذلك في لحظة ... إلا أن الرب لم يكن قد قال بعد : « اليوم حصل خلاص لهذا البيت » ... ثم جاءت توبة زكا واعترافه ، وعزمه على رد الظلم .. هل كل ذلك ، يمكن أن تشمله كلمة (لحظة) ؟

ومع ذلك فإن لنا ثلاثة ملاحظات عن عبارة : « اليوم حدث خلاص لهذا البيت » : الأولى هي عبارة : « لهذا البيت » فأهل ذلك البيت لا يمكن أن يكونوا قد خصوا في لحظة بتوبة واحدة منهم . إنما تكون توبته بدء علاقة مع الرب تؤدي إلى خلاصهم . وهذا لا يتم في لحظة .

الملاحظة الثانية هي أننا لا يمكن في هذا المثل أن نتكلم عن الأسرار الكنسية ، لأنها لم تكن قد تأسست بعد...

الملاحظة الثالثة : هي أن زكا لا يمكن أن يكون قد خلص إلا بعد صلب المسيح ، لأنه بدون صفك دم لا تحصل مغفرة (عب ٩ : ٢٢) .

فالمبارة التي قاما الرب لا تعنى سوى وعد بالخلاص ، أو اعلان أن هذا البيت مستحق للخلاص ندى سيتم بعد حين على الصليب . إن زكا وأهل بيته قد أخذوا وقتذاك مكاناً للخلاص لدى سم يتألموه إلا بعد صلب المسيح ، وبشروط .

يقيناً أن زكا وأهل بيته لم يتألموا الخلاص إلا بعد إتمام الفداء ، وإيمانهم بهذا الفداء ، وعمادهم في العصر المسيحي لمغفرة الخطايا (أع ٢ : ٣٨) .

فبدون الإيمان بدم المسيح لا يمكن أن ينصّب أحد .

لا بد أن يكونوا قد اعتمدوا وغسلوا خطاياهم ، حسب نصيحة حنانيا لشاول الطرسوسي (أع ٢٢ : ١٦) . فاستحقاق الخلاص شيء ، ونونه شيء آخر...

إذن لا يمكن أن يكون زكا قد نال الخلاص في لحظة .

إن القول بأن أحداً نال الخلاص قبل الصلب ، هو هدم صريح لعقيدة الخلاص بالدم التي يؤمن بها اخوتنا البروتستانت !

حسن هو هذا الإيمان . ولكن يناسبه التطبيق بالأكثر .

ولا يصح أن يأخذ أحد آيات الكتاب حرفياً ، « فالخرف يقتل » كما يقول الكتاب (٢ كو ٣ : ٦) . بل ينبغي أيضاً أن نخرج بنص الآية الفهم اللاهوتي السليم ، والأقادة الحرفية إلى السطحية .

ومن له أذن للسمع فليسمع (مت ١١ : ١٥) .

هل ضلعت سجان فيليب في لحظة

في قصة سجان فيليب ، نقرأ أن بوس وسبلا قد قالاه : « آمن بالرب يسوع المسيح ، فتخلص أنت وأهل بيتك » (أع ١٦ : ٣١) .

فهل إيمان سجان فيلبى ، خلّص أهل بيته فى لحظة ؟

لاهوتياً وعملياً ، من المستحيل أن يتم هذا فى لحظة .

إنما إيمان شخص ، قد يؤدى إلى خلاص أهل بيته ، فى حالة ما إذا كان يفقدهم ذلك إلى الإيمان ، أى يتبعونه فى إيمانه . ويكون إيمانه هو الخطوة الأولى التى تقود إلى الخلاص بعد حين .

وهذا واضح فى قصة خلاص سجان فيلبى وبيته . بقول سفر أعمال الرسل : « وكلماء وجميع من فى بيته بكلمة الرب . فأنخذم فى تلك الساعة من الليل ، وغسلهما من الجراحات ، واعتمد فى الحال ، هو والذين له أجمعون » (أع ١٦ : ٣٣-٣٤) . وبعد العماد يقول الكتاب : « وتهل مع جميع بيته » .

فلو كان مجرد إيمانه قد خلّصه ، لماذا كانت الحاجة إلى تبشيريه وكل بيته بكلمة الله فى تلك الساعة من الليل ؟! وماذا كانت الحاجة إلى أن يعتمد فى الحال ، هو والذين له أجمعون ؟! ثم بعد ذلك يتهلل ...

ومحارة : « اعتمد فى الحال » تمنى ضمناً أهمية المعمودية لخلاصه . ولذلك فى الحال أعتمد هو والذين له أجمعون ، لكى ينالوا الخلاص حسب قول السيد الرب : « من آمن وأعتمد خلّص » (مر ١٦ : ١٦) . وكما أعتمد الحصى الحبشى بعد إيمانه مباشرة (أع ٨ : ٣٧ ، ٣٨) .

وطبيعى أن كل ذلك لم يتم فى لحظة

لم يقل الرسولان لسجان فيلبى : مادمت قد آمنت ، تهلل إذن فقد خلّصت ، وصرت ابناً لله ، بمجرد قبولك !!

إنما كانت هناك كرازة ، وأعمال حسنة تدل عن توبة ، ثم عماد .. هل يمرؤ أحد إذن أن يقول إن سجان فيلبى قد خلّص هو وأهل بيته فى لحظة ؟!

أو هل يمرؤ أحد أن يقول إن سجان فيلبى ، قد خلّص بدون الكنيسة ، أو بدون المعمودية ؟!

هل خلص اللص في لحظة

مثال خلاص اللص على الصليب ، هو من الأمثلة الشهيرة ، التي يحاول البعض استخدامها ، لاثبات الخلاص في لحظة ، ولعدم ضرورة المعمودية والكهنوت . وهم في ذلك يقدمون الاعتراض الآتى المكون من ثلاث نقاط :

إعتراض

- ١ - لقد خلص اللص في لحظة ، حينما قال له الرب : « اليوم تكون معي في المردوس » (لو ٢٢ : ٤٣) !
 - ٢ - وقد خلص بدون معمودية !
 - ٣ - وقد خُص أيضاً بدون كهنوت وبدون ندخل الكنيسة !
- فلماد إذن تشرصون الكهنوت والكنيسة والمعمودية ؟

الرد على الاعتراض

- لا يمكن أن يكون اللص قد خلص في لحظة ... ونقدم لذلك الأدلة الآتية :
- ١ - لا يمكن أن يكون اللص قد خلص بمجرد الوعد الإلهي ، قبل موت المسيح على الصليب .
- وذلك لأن أجرة الخطية هي موت (رو ٦ : ٢٣) . فلا بد أن يموت المسيح أولاً ليخلص اللص ...
- وواضح أن السيد المسيح قد بقى على الصليب ربما حوالى ساعتين بعد أن قال وعده للص . لأن ذلك الوعد كان هو الكلمة الثانية من كلمات المسيح السبع على الصليب . ربما قالها في ساعة الأولى من الساعات الثلاث التي قضها على الصليب من السادسة إلى التاسعة . فهل خلص اللص بعد موت المسيح مباشرة ؟ هنا ونقول :

٢ - كان لا بد للنص أن يموت مع المسيح لكي يخلص .

وموته مع المسيح هو المعمودية في أعماق صورها .

لأنه ما هي المعمودية ؟ يقول الرسول : « أم تجهنون أننا ، كل من أعتمد ليسوع المسيح ، أعتمدنا لموته ، فدفنا معه بالمعمودية للموت » (روم ٦ : ٣) . ويقول : « لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته ، نصير أيضاً بقيامته ، عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبتلع جسد الخطية » (روم ٦ : ٥ ، ٦) .

وواضح أن النص صُلب مع المسيح صلباً حقيقياً ، ومات معه موتاً حقيقياً ، وليس مجرد على « شبه موته » . من هنا كان موته هذا المعمودية مثالية هي مثال لكل المعمودية .

فكيف يجرؤ أحد أن يقول إن النص لم يعتمد ؟

إن من ينال هذه البركة العظمى مع المسيح يكون بلا شك في وضع مثالي ، لعل بولس الرسول شتاه اشتهاه حينما قال : « مع المسيح صلبت » (غل ٢ : ٢٠) .

إن الوحيد في جميع قديسي الأرض الذي يقول هذه العبارة لفظاً ومعنى هو طبعاً النص اليمين ...

يليه بصورة مشابهة ، القديسون شهداء ، الذين لم يموتوا مع المسيح حرفياً ، إنما ماتوا من أجله ، فاعتبروا كأنهم ماتوا معه .

ونحن نعتبر أن الذين آمنوا بالمسيح واستشهدوا قبل المعمودية الماء ، إنما قد نالوا المعمودية الدم ، بالموت معه .

وهنا نسأل : متى نال النص هذه المعمودية ومات على الصليب ؟

إن الكتاب يشرح لنا أن مسيح مات في الساعة التاسعة (مت ٢٧ : ٤٥ - ٥٠ ؛ مر ١٥ : ٣٣ - ٣٧ ؛ لو ٢٣ : ٤٤ - ٤٦) .

والمعروف أن جسد المسيح انزل من على الصليب في الساعة الحادية عشرة . يقول متى الرسول إنه : « لما كان المساء » (مت ٢٧ : ٥٧) . ويقول القديس مرقس : « لما

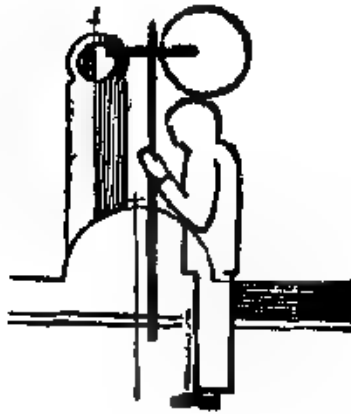
كان المساء، إذ كان الا استعداد أى قبل السبت» (مر ١٥ : ٤٢). ويقول القديس لوقا : «وكان يوم الا استعداد والسبت يلوح» (لو ٢٣ : ٥٤). ويقول يوحنا : «إذ كان استعداد، فلكن لا تنقئ الأجساد عن الصليب في السبت...» (يو ١٩ : ٣١). ووقت انزال جسد المسيح من على الصليب، لم يكن لصان قد ماتا، فكسر الختد أرجلهم : «أما يسوع فلما جاءوا إليه، لم يكسروا ساقه لأنهم رأوه قد مات» (يو ١٩ : ٣٣).

إذن اللص مات بعد الحادية عشر، أى بعد ساعتين من موت المسيح. وبهذا يكون قد نال الخلاص وقتذاك، بعد موته. وتكون قد مرت حوالى أربع ساعات بعد الوعد الإلهى بدخوله الفردوس.

إذن لم يخلص اللص في لحظة. ولم يدخل الفردوس عقب الوعد الإلهى مباشرة، بل بعده بأربع ساعات.

مادامنا قد أثبتنا أن اللص لم يخلص في لحظة، ولم يخلص بدون معمودية، تبفى إذن الإجابة على الاعتراض لثالث الخاص بالكهنوت والكنيسة.

لقد نال اللص خلاصه عن طريق المسيح رأس الكنيسة ورئيس الكهنة الأعظم، الذى يمثل الكنيسة تماماً في ذلك الوقت، الذى لم يكن فيه الكهنوت المسيحى قد تأسس بعد، ولم تكن الكنيسة قد تأسست بعد.





الفصل الثامن

هل هذه الآيات

تثبت الخلاص في لحظة؟

- الذين قبلوه (يوحنا ١ : ١٢) .
- التفتوا إلى (إش ٤٥ : ٢٢) .
- آيات « اليوم » (أع ١٧ : ٣٠ ؛ عب ٣ : ٨) .
- آيات « الآن » (٢ كور ٦ : ٢ ؛ روم ١٣ : ١١) .

بمجرد قبول المسيح

الفهم الخاطيء وخطورته :

الذين ينادون بالخلاص في لحظة ، يجعلون هذا الخلاص متوقفاً على مجرد قبول المسيح ! بكفى - في عرفهم - أن تقبل المسيح فادياً ومخلصاً ، فتنال الخلاص وبتتهى الأمر!!

والقبول في نظر هؤلاء - كما يقول كتاب « التلمذة » - هو التصديق : أى تصديق أنك خاطيء ، وأنتك تستحق الموت ، وتصديق أن المسيح مات عنك ، وتقبله فادياً ومخلصاً ...

وبهذا القول - كما يعلمون - ينال الشخص التبرير ، ولتجديد ، والولادة من فوق ، وغفران الخطايا ، والانتقال من الموت إلى الحياة !!

ومعنى هذا ، أن ينال الإنسان التبرير والتجديد والمغفرة والخلاص ، بمجرد القبول ! أى بدون المعمودية ، ولا كنيسة ، ولا أسرار ، ولا كهنوت ! كل ذلك يتم - وبلا كنيسة - بمجرد القبول ! هكذا يقولون ! ومن هنا أتت بدعة الخلاص في لحظة ...

يقولون في مجلة « البنيوع » (عدد يناير ١٩٧٨) : بكفى أن تنظر إلى المسيح على الصليب ، والجندى يلعنه بالحربة ، فتتبرر في الحال !!

عجباً ! بمجرد انظر ، بلا توبة ، بلا اعتراف ، بلا تحليل ، بلا تناول ... بمجرد قبولك المسيح ! أى الغاء تام لوجود الكنيسة ولوجود الأسرار المقدسة ..!

وبصبح دليل الخلاص هو : هل قبلت المسيح فادياً ومخلصاً ؟!

إنه تعبير معروف مصدره ، مستعار من لطوائف غير الأرثوذكسية التي تركت على مجرد هذا القبول وحده . ومما تجدر الإشارة إليه أن الأسجيل التي يوزعها الجدد ~~عند~~ يوجد في آخرها اقرار بقبول المسيح قادياً ومخلصاً ، ليوقع عليه حامس الإيجين ... كما لو كان مجرد هذا الاقرار كافياً وحده لنوال الخلاص ... !

ويستند المعتقدون بكفاية هذا القبول ، على قول الكتاب :

« وأما كل الذين قبلوه ، فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله — » (يو ١ : ١٢) .

وهكذا يرون أن الولادة الجديدة تتم بمجرد هذا القبول !

الرد على ذلك :

ما هو تفسير هذه الآية (يو ١ : ١٢) ؟ وما علاقتها بالبنوة لله ؟ وهل تصلح لإثبات « الخلاص في لحظة » ؟

أول ما نلاحظه في هذه الآية ، بالنسبة إلى الذين قبلوه :

لم يقل الكتاب : كل الذين قبلوه صاروا أولاد الله ... إنما قال : « أعطاهم سلطاناً أن يصيروا ... أي صار لهم الحق أن يصيروا أولاد الله . أما كيف يصيرون فلا شك أن ذلك بالميلاد من فوق ، الميلاد من الماء والروح (يو ٣ : ٣ ، ٥) .

وهذا ميلاد من الماء والروح ، ذكره الرب في حديثه مع نيقوديموس قائلاً : « الحق الحق أقول لك : إن كان أحد لا يولد من الماء والروح ، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) . ولهذا بدون المعمودية لا تتم هذه الولادة .

والذين يقولون إن الميلاد الثاني يتم بمجرد قبول المسيح (أي الإيمان به) ، إنما ينكرون المعمودية ، ويخرجون من دائرة الأرثوذكسية .

نقطة أخرى نناقشها بالنسبة إلى هذه الآية وهي :

ما معنى عبارة : « الذين قبلوه » ؟ من هم الذين قبلوه ؟

لا شك أن الذين قبلوه ، هم الذين قبلوا تعليمه أيضاً ...

وتعليمه لا يقول آمن فقط ، إنما يقول : « من آمن واعتمد ، خلص » (مر ١٦ : ١٦) . فإن كنت قد آمنت فقط ، ولم تعتمد ، مكتفياً بمجرد القبول ، فلا تكون قد قبلت تعليم المسيح ... فلا تستحق أن تصير من أولاد الله ...

إن الذى يقبل المسيح ، يقبل إيجيه ، وكنيسته ، ووكلاءه .. وكلاء السرائر الإلهية ، ويقبل كل الأسرار المقدسة التى تركها لنا كوسائل للخلاص ... فالقبول ليس مجرد شعور ...

هل شاول الطرسوسى بمجرد قبوله للمسيح نال الخلاص فى لحظة ١٤ ؟ أم سلمه الرب للكنيسة ؟ وأمرته الكنيسة أن يعتمد ويعمل خطاياها (أع ٢٢ : ١٦) ، أى أن خطاياها كانت لا تزال باقية بعد قبوله المسيح ، تنتظر المعمودية لتغسل منها ...

واليهود الذين آمنوا فى يوم الخمسين ، هل نالوا الخلاص فى اللحظة التى نخبوا فيها فى قلوبهم ، أم قالت لهم الكنيسة على فم بطرس الرسول : « توبوا ، وليعتمد كل واحد منكم على إسم يسوع المسيح لمغفرة الخطايا » (أع ٢ : ٣٨) .

وماذا نقول عن قصة خلاص كرنيليوس والخصى الحبشى ؟

هل تمت بمجرد قبول المسيح قادياً ومخلصاً ، بعيداً عن المعمودية والأسرار والكنهية ... فى لحظة ١٤ ؟

إن قبول الإنسان للرب ، وإيمانه ومعرفته لله ، كل هذه هى الخطوات الأولى فى طريق الخلاص . أما الخلاص فهو قصة العمر كله .

إن الخلاص هو قصة الإيمان والتوبة والمعمودية ، وهو قصة الطاعة والقداسة وشركة الروح القدس ، وفاعلية الأسرار الإلهية ، وعمل النعمة مع الإرادة البشرية ، والثبات فى الحب وحفظ الوصايا ، والصمود أمام حروب الشياطين .

إن الذين قبلوه ، كان كل منهم يسأل : « ماذا تريد يا رب أن أفعل ؟ » ، فهكذا فعل شاول الطرسوسى (أع ٩ : ٦) . وهكذا أيضاً فعل اليهود الذين قبلوا الرب

في يوم الخميس، إذ سألوا الرسل قائلين: «ماذا تصنع أيها الرجال الأخوة؟» (أع ٢: ٣٧).

وهذا دليل على أن هناك شيئاً ينبغي عمله بعد القبول.

كرنيليوس لما قبل الرب، لم يصر إبناً بمجرد قبوله. إنما أمره الملاك أن يلجأ إلى الكنيسة، ويستدعى بطرس ليقول له: «ماذا ينبغي أن يفعل» (أع ١٠: ٦) ... وخشى الحبشى لما قبل الرب، لم يصر إبناً في الحال، مع أنه كان يؤمن من كل قلبه (أع ٨: ٣٧). ولكنه لما اعتمد، مضى في طريقه فرحاً. وهنا نسأل عن سر شفقه بطلب العباد...

إن التشديد على قبول المسيح قادياً، كان دعوة يوجهها الرسل إلى غير المؤمنين، إذ لا يوجد طريق للخلاص غير هذا.

ولكن ما معنى كتابة نبذات تدعو المؤمنين إلى قبول المسيح قادياً ومخلصاً؟ هل هم حالياً غير مؤمنين به كمخلص؟

هل المؤمنون الذين توزع عليهم نبذات، لم يقبلوا المسيح بعد قادياً لهم؟ أليس من الواضح أن الذين تتخذ كرازتهم هذا الأسلوب لا يفرقون بين المؤمنين وغير المؤمنين! وإلا فما معنى أن تصدر نبذة عن جماعة تسمى نفسها (شباب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية) تدعو فيها إلى مجرد قبول المسيح، للخلاص ونوال الحياة الجميدة؟ دون أن تذكر شيئاً عن الأسرار، وعن البر الذي في المسيح يسوع...!



التفتوا إلى، واخلصوا

(إش ٤٥ : ٢٢)

من الآيات التي يعتمد عليها من ينادون بالخلاص اللحظي ، قول الرب في سفر إشعياء النبي : « التفتوا إلىّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض » (إش ٤٥ : ٢٢) . وهم يشددون على كلمة « التفتوا » . ويرون أن الخلاص - حسب هذه الآية - يتم في لحظة ، أي في لحظة !! فهل هذه الآية تعني الخلاص في لحظة ؟

والجواب هو أن هذه الآية لا علاقة لها مطلقاً بموضوع الخلاص في لحظة ، إنما هي خاصة بترك عبادة الأصنام والرجوع إلى عبادة الله وحده...

ليت الذين يوردون نصوحاً من الكتاب المقدس ، يتحققون جيداً مما يقتبسونه ، ويعرفون ما هي المناسبة التي قيلت فيها الآية ؟ ولتن قيلت ؟ وأيضاً ليتهم لا يوردون النص مبتوراً ، أو منفصلاً تماماً عن باقي الآيات .

فاللاهوتى الحقيقى ، أو المؤمن الحقيقى ، لا يحاول أن يخضع الآيات لفاهيمه الخاصة ، إنما يخضع هو لفهوم الآيات .

وهذه الآيات المقتبسة من إشعياء ، سنفهمها في ضوء الحقائق الآتية :

أ - تكلمة الآية ذاتها . ولماذا لم يذكر مقتبسها تكملتها ؟

ب - تكلمة الاصحاح الذى قيلت فيه هذه الآية (إش ٤٥) .

ج - كل مضمون الاصحاحات ٤٣ إلى ٤٨ من سفر إشعياء .

فنعول إن كل هذه الاصحاحات تدعو إلى ترك الآلهة الغريبة .

كلها تدعو إلى عبادة الإله الحقيقى وحده ، وعدم الالتفات إلى الآلهة الأخرى .

ويكرر فيها كلها قول الرب : « أنا الله وليس غيري » « أنا الرب وليس آخر »
« قبل لم يصور إله ، وبعدي لا يكون » « أنا هو وليس سوى » .

والله في كل تلك الاصحاحات يشير إلى أن الخلاص به هو ، فيحب الالتفات إليه
وحده ، وليس إلى الآلهة الغريبة أو إلى الأصنام . وهكذا يقول :

« التفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقاليم الأرض . لأنني أنا الله وليس آخر »
(إش ٤٥ : ٢٢) ويسبقها مباشرة قول الرب : « أليس أنا الرب ، ولا إله
غيري ؟ إله بار ومخلص ، ليس سوى » ثم يقول : « التفتوا إليّ واخلصوا » (إش
٤٥ : ٢١ ، ٢٢) .

ومن العجيب أن يؤخذ جزء من الآية ، ويترك البقي ، كما يُترك ما قبلها وما
بعدها . ويُفسر تفسيراً خاصاً يريد به الكاتب !

إن رسالة الله هنا هي : لتفتوا إليّ ، وليس إلى آلهة أخرى ، فتخلصوا ، لأنني أنا
الله وليس آخر ، أنا المخلص وليس سوى .

أو المعنى هو أدبروا قلوبكم نحوي . اتجهوا إليّ وليس إلى الأصنام . وهذا
هو ما تظهره الترجمة الانجليزية : " Turn to me and be Saved " .

والمتتبع قراءة الاصحاح من أوله ، يجد الرب يقول :

« لكي تعرف أنني أنا الرب الذي يدعوك . أنا الرب وليس آخر » (إش ٤٥ :
٣) . « وأنت لست تعرفني . أنا الرب وليس آخر . لا إله سوى . نطقتك وقلت لم
تعرفني » (ع ٤ ، ٥) « لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها ، أن ليس
غيري . أنا الرب وليس آخر » (ع ٦) « أنا الرب صانع كل هذه » (ع ٧) « أنا
الرب قد خلقتك » (ع ٨) « أنا صنعت الأرض وخلقته الإنسان عليها . يداي أنا
نشرت السموات وكس جندها » (ع ١٢) « ... الله وليس آخر » (ع ١٤) .

وبعد أن يتكلم الرب عن أنه هو الله وحده ، يتكلم عن الخلاص وأنه به
وحده ، فيقول :

« أما إسرائيل ، فيخلص برب خلاصاً أبدياً » (ع ١٧) « أنا الرب وليس آخر » (ع ١٨) . « أنا الرب » (ع ١٩) « لا يعلم الحاملون خشب صنمهم والمصلون إلى اله لا يخلص » (ع ٢٠) . « أليس أن الرب ، ولا إله غيرى إله بار ومخلص ، ليس سوى . لتفترو بىّ واخلصوا... » (ع ٢١ ، ٢٢) .

إنها دعوة إلى ترك عبادة الأصنام ، والإيمان بالله وحده .

وترك إسرائيل لعبادة الأصنام والتفاتهم إلى الله ، لكي يخلصوا ، لم يتم في لحظة ...

لم يتم ذلك إلا بجهد كبير من أنبياء ، وبضربات من الله كان من ضمنها السبى وطرحهم إلى أيدي أعدائهم ليذلوهم ، ثم طول أناة من الله عليهم ، حتى التفتوا إليه أخيراً ، وأداروا ظهورهم للأصنام ، واتجهوا نحو الله ...

وحتى كل الذين التفتوا إلى الله ليخلصوا ، لم ينالوا الخلاص إلا بدم المسيح الذى سفك بعد ذلك بحوالى ٨٠٠ سنة .

لقد رفضوا على رجاء ، كبقاى الآباء وانتصروا ...
ولم ينالوا الخلاص بمجرد لفنة ، أو في لحظة ...
وكل الذى نالوه كان وعداً بالخلاص ...

إنهم لم يخلصوا إلا بالإيمان ، وبترك الأوثان .

ولم يخلصوا إلا في ملء الزمان .

ليس بمجرد لفنة ، إنما بعد أحيال طويلة .

ومن له اذنان للسمع فليسمع ، ما يقوله الروح للكنائس .

لحظة ، ولا أن يتوب ويعترف ويأخذ التحليل ويتناول في لحظة ... كن هذا مستحيل عملياً .

ومن هنا كانت عبارة « لحظة » تعنى ، بكاراً واضحاً لأهمية الأسرار والكهنوت والكنيسة في موضوع الخلاص .

لهذا فالآيات المشتملة على كلمة « اليوم » هي خروج عن الحوار في هذا الموضوع ، لأن الإيمان والأسرار يمكن أن تتم في يوم ...

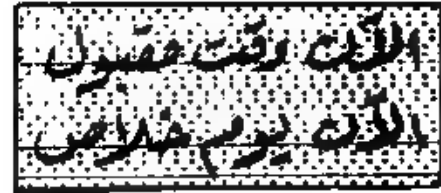
يمكن في يوم واحد ، أن يتم الإيمان والعماد معاً ... ويمكن أن تتم التوبة ، ومعها الاعتراف أيضاً والتناول ... وهكذا تكون الكنيسة قد أدت دورها ، وقمت الأسرار اللازمة للخلاص بخدمة الكهنوت ...

في يوم واحد ، كرزفيلبس شخصي ، قامن واعتمد (أع ٨) .

وفي يوم واحد ، أمكن لكرنيبيوس ، أن يستدعى بطرس الرسول ، الذي كرز له ، قامن واعتمد هو وجميع الذين سمعوا الكلمة (أع ١٠) .

ومع ذلك ، فسنحاول أن نفهم معاً هذه الآيات التي قدموها لاثبات الخلاص في لحظة وبرى ما تقدمه من معنى :

★ ★ ★



(٢ كو ٦ : ٢)

إن عبارة « الآن وقت » وعبارة « الآن يوم » لا تعنيان مطلقاً (الآن لحظة) ، فلم يقل الآن لحظة خلاص ، ولا الآن لحظة مقبولة ... ومع ذلك نقول :

كلمة الآن هنا تعنى عدم التأجيل ...

ولا تعنى انهم يخلصون في لحظة ، لأنه أرس رسالته هذه « إلى كنيسة الله التي في كورنثوس ، مع القديسين أجمعين الذين في أخائية » (٢ كو ١ : ١) . فهو هنا لا يكلم غير مؤمنين . ولم يتحدث إليهم هنا عن الإيمان أو الفداء أو الممجدية .

إنما كان يحدثهم عن التوبة ، وعدم تأجيلها ..

والتوبة مقبولة الآن ، ومقبولة في كل وقت . لأن الله يقول : « مَنْ يَقْبَلِ إِلَيَّ ، لَا أُخْرِجْهُ خَارِجاً » (يو ٦ : ٣٧) . والقديس بولس كان في الرسالة الماضية قد حدثهم عن الانقسامات التي بينهم (١ كو ٣ : ٣) ووصفهم بأنهم حسديون (١ كو ٣ : ١ ، ٤) . ثم وبخهم على الخطيئة التي أدانته إرسول وحكم عليهم (١ كو ٥ : ٥) وقال لهم : « اعزلوا اخييث من وسطكم » (١ كو ٥ : ١٣) . ووبخهم على الالتجاء إلى المحاكم (١ كو ٦ : ١ ، ٥) ووبخهم على خطايا أخرى كثيرة ... وفي هذه الرسالة يخبرهم الخطيئة التي حكم عليهم (٢ كو ٢ : ٧) . ويقول لهم :

« الآن أنا أفرح ، لا لأنكم حزنتم ، بل لأنكم حزنتم للتوبة ... لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ، يُنشئ توبة لخلاص بلا ندامة » (٢ كو ٧ : ٩ ، ١٠) .

إذن هنا ، هو يحدثهم عن التوبة ، والخلاص من الخطايا التي يرتكبونها . والتوبة يحسن بها عدم التأجيل ، فوقيتها الآن وقت مقبول ، والتخلص منها اليوم هو أفضل ، لأنه يوم خلاص ... ما علاقة كل هذا إذن بالخلاص في لحظة ؟ والرسول لم يستخدم هذا التعبير مطلقاً ...

إنه ينادي لهم بخدمة المصالحة ، أن « تصالحوا مع الله » (٢ كو ٥ : ٢٠) . فإن تأثروا وتابوا ، فلا يجوز أن يؤجلوا التوبة ، لأن الآن وقت مقبول ...

ونفس الكلام عن عدم تأجيل التوبة ، هو قصص الرسول بقوله :

★ ★ ★

الآن ساعة لتسبّط

البقطة الروحية مطلوبة في كل وقت ، وليس من الصالح تأجيلها ، فهي لازمة الآن . فما علاقة البقطة بالخلاص في لحظة .

إن الذي يستيقظ ، يبحث كيف يخلص . تماماً مثلما حدث للابن الضال ، الذي

لا استيقظ ، فكر ماذا يفعل . فقال أقوم الآن وأذهب إلى أبي ، وأقول له : أخطأت ..
(لوقا : ١٧ ، ١٨) .

إذن فالليقظة تتبعها خطوات ... ولذلك شرح لهم الرسول ما يفعلونه في هذه
اليقظة الروحية .

فقال لهم : « إنها الآن ساعة لستيقظ ... فلنحلب أعمال الظلمة ، ونلبس أسلحة
النور . لنسلك بلياقة كما في النهار ، لا بالبطر والسكر ، لا بالمضاجع والعهر ، لا
بالخصام والحسد بل ايبسوا الرب يسوع المسيح ، ولا تصنعوا تدبير الجسد لأجل
الشهوات » (رو ١٣ : ١١ - ١٤) .

هنا يضع أمامهم برنامجاً روحياً ، ربما يحتاج إلى جهاد روحي ووقت . وليس
هو كلاماً عن الخلاص في لحظة .

وهو في كل ذلك يكلم أناساً مؤمنين . ولذلك فإنه يقول لهم في نفس الآية : « إنها
الآن ساعة لستيقظ من النوم ، فإن خلاصنا لأن أقرب مما كان حين آمنا » (رو
١٣ : ١١) . إذن هم كانوا مؤمنين ، وقد قبلوا المسيح من قبل فدياً ومخلصاً ... ولكنهم
الآن تتبعهم الخطايا ، ويحتاجون إلى توبة . ويجب عدم تأجيل هذه التوبة ، بكل تكون
الآن ... فخلاصهم الآن من خطاياهم بالتوبة ، أسهل من حالتهم حين قبلوا الإيمان ...
إنها نفس الدعوة إلى العبرانيين ، بعدم تأجيل التوبة بقوله :

★ ★ ★

اليوم إن سمعتم صوته ، قال انقشوا قلوبكم

(عب ٣ : ٨)

إنه لا يتكلم عن الخلاص في لحظة ، إنما يدعوهم أن يفتحوا قلوبهم لله ، وأن
يتوبوا . والمعرض أن يستجيبوا بسرعة لعمل الله فيهم ، لئلا يدركهم غضب الله الذي
يدرك آبائهم في القفر (عب ٣ : ٨) .

والرسول يقول إن عدم الرجوع إلى الله ، وعدم الاستجابة لصوته ، عبارة عن قساوة قلب . لذلك ليوم لا تقسوا قلوبكم ..

ما علاقة هذه الآية بالخلاص في لحظة ؟ ننى متعجب .
كذلك ما هى علاقة الخلاص في لحظة هذه الآية :

★ ★ ★

الله الآن يأمر جميع الناس أن يتوبوا

إن « الله الآن يأمر جميع لكس في كل مكان ، أن يتوبوا متفاضياً عن أزمته الجهل » (أع ١٧ : ٢٠) .

فهل دعوة الله الناس إلى التوبة الآن ، معناها أنهم قد خلصوا في لحظة .. إنه يدعوهم الآن ، وربما يستجيبون أو لا يستجيبون . والذين يستجيبون قد يأخذون وقتاً للتخلص من خطاياهم ، وقد يتدرجون في ذلك ... ويرى يتوبون ، ويمودون إلى السقوط مرة أخرى ... ولكنهم في توبتهم يتفاضى الله عن أزمته الجهل ...

فهل أمر الله للناس الآن بالتوبة ، تعنى الخلاص في لحظة ؟ لمجرد ورود عبارة الآن ١٩

حتى لو كانت ١٠٠ ، يقول الرسول الآن الله يأمر . وليس الآن الناس يخلصون .

وحتى عبارة « الآن يخلصون » لا تعنى لحظة ...

ومع ذلك لا يخلط أحد بين عبرتى : التوبة ، والخلاص . فهناك فروق بينهما شرحها في فصل عنوانه « مفاهيم » .

★ ★ ★

اليوم حصل خلاص

أما عن عبارة « اليوم حصل خلاص لهذا البيت » (لو ١٩ : ٩) التي قالها الرب عن زكا وبيته ، فقد شرحناها تحت عنوان : « هل خلاص زكا في لحظة » (انظر ص ١٤٠) .

كما أن عبارة « اليوم » كما قلنا ، هي خارجة عن موضوعنا .

التوبة والخلاص

نلاحظ أن باقى الآيات كلها خاصة بالتوبة ، وليس بالخلاص .

والتوبة هي جزء بسيط من موضوع الخلاص . ولا يمكن أن المتنادين بالخلاص في لحظة يقولون إن التوبة معناها الخلاص الآن ، حيث لم يرد في هذه الآيات أية إشارة إلى الإيمان أو الدم أو الفداء أو الكفارة أو المعمودية ، فهي إذن ليست آيات خاصة بالخلاص ، ولا علاقة لها بموضوعنا .



الفصل التاسع

مفاهيم لا موتية

- الخلط بين التوبة والخلاص .
- الخلط بين التغيير والخلاص .
- لحظات مباركة ، ليست لحظات خلاص .
- المغفرة قبل الصليب .
- الإيمان والخلاص .
- التبرير أم التقديس .
- الإجابة بآية لا تكفى .
- أية السعطات ١٩

الحلقة بين التوبة والخلاص

١ - ما أكثر الذين يخلطون بين التوبة والخلاص . فإن تاب إنسان وتغيرت حياته ، يقولون عنه إنه قد خلص ، وهو نفسه يقول : « أنا قد خلصت » ويسجل تاريخ ذلك في مذكرته ، ويدعوه البعض أن يقف على المنبر ليحكى (إخباره) ، أو يحكى قصة خلاصه ، لينتفع بها الآخرون...

٢ - وربما تكون توبة جزئية ، أقصد توبة من خطية معينة تتعبه ، أو من الخطيئة الرئيسية في حياته !

ربما تكون الخطيئة البارزة في حياته ، أو التي تشعره بأنه خارج دائرة أولاد الله ، هي خطية الزنا ، أو شرب الخمر ، أو لعب القمار ، أو لسرقة... إلخ . فإن عصمت التوبة في قلبه أو تأثر ، وأبطل هذه الخطيئة البشعة ، يفن أنه قد خلص ، ويقول أمام الناس : « قد خلصت » !

٣ - ومع (خلاصه) من هذه الخطيئة ، قد تكون له خطايا أخرى !

مثل خطية الغضب مثلاً ، أو محبة المديح والمجد الباطل ، أو بعض خطايا اللسان ، أو عدم التدقيق في الحياة ، أو غير ذلك... ولكنه يقول قد خلصت ، لمجرد خلاصه من الخمر أو القمار أو النساء !

٤ - ونحضرني في هذا المجال قصة قرأتها في كتاب :

كان يتحدث مؤلفه عن إمكانية الخلاص في لحظة ، فاستشهد بقصة رواها أحد الآباء الكهنة المعروفين عن إنسان كان مدمناً على التدخين ، ثم خلا إلى نفسه ، ورأى أنه يحرق قوته وصحته فيما يدخن ، فقرر الامتناع عن ذلك ، وألقى بعلبة السجائر بعيداً ، قائلاً لها : " اذهبي ، لا أرجعك الله " .

وقال ذلك المدمن النائب : " ومنذ تلك اللحظة لم أعد إليها أبداً " . وأعتبر المؤلف تلك القصة دليلاً على إمكانية الخلاص في لحظة !! أو دليلاً على الخلاص في لحظة من محبة الخطيئة !!

والعجيب أن تلك القصة ، تكررت في كتاب المؤلف مرتين ، كما لو كانت دليلاً قوياً دافعاً ! فهل الخلاص في مفهومه ، هو مجرد ترك التدخين ؟! وهل الخلاص من عبية الخطية ، هو مجرد الخلاص من التدخين ؟! وربما تكون لهذا المذنب خطايا أخرى كثيرة ، لا تزال محتاجة إلى جهاد كبير حتى يدم (عب ١٢ : ٤) ، كما تحتاج إلى معونة كبيرة من النعمة ...

وكم من أناس تخلصوا من مثل هذه الخطية ، وحكوا اختباراتهم ، ثم انفجروا في إحدى اللحظات في خطية غضب وسخط ، لم يخلصوا منها بعد ... وحتى لو حصوا من الغضب ، هناك خطايا أخرى ، وهناك ضعفات في حياتهم وحياة كل إنسان تحتاج إلى إصلاح .

٥ - وهم أنفسهم يقولون إن (اتقديس) يحتاج إلى مسيرة العمر كله ...! فهل يؤخذ الاقلاع عن التدخين دليلاً على الخلاص في لحظة ؟! وهل ترك التدخين يدخل تحت عنوان التبرير أم التقديس ؟! وهل هو داخل في استحقاقات الفداء والدم ؟ ومتى وكيف ؟

٦ - إن الخلاص له معنى واسع ، التوبة هي جزء منه ، أو هي عامل موصل إليه ضمن عوامل أخرى .

لا يجوز إذن وضع الكلام عن توبة ، سواء كانت كلية أو جزئية ، في موضع الكلام عن الخلاص . والأقوال الحديث عن الإيمان والمعصية ، والدم والكفارة والغذاء ، وسائر الأمور الأخرى المتعلقة بالخلاص ، مثل عمل النعمة ، أو عمن الروح القدس في موضوع الخلاص ...! إن كان مجرد ترك خطية واحدة يعتبر خلاصاً ...!

٧ - ينبغي أن يكون مفهوم الخلاص واضحاً أمامنا بمعناه الواسع ..

هذا الخلاص الذي عمل الرب وما زال يعمل من أجله ، وهذا الخلاص الذي نجاهد بكل قوائنا ، وبكل ما أوتينا من نعمه لكي نصلي إليه ، بعد أن أخذنا جزءاً منه ، واضعين أمامنا قول الرسول : «تمموا خلاصكم بخوف ورعدة» (في ٢ : ١٢) ... هذا الخلاص الذي من أجله «مصارعتنا ليست مع لحم ودم ، بل مع أجناد الشر

الروحية» (أف ٦ : ١٢) وتحتاج إلى سلاح الله الكامل لكي نقدر أن نقاوم ، وأن نتبت ، ولأن تقوى جميع سهام الشرير الملتهبة ... (أف ٦ : ١٣ ، ١٦) ...

٨ - ليس هو مجرد تخلص من خطية معينة ، أو من جملة خطايا ، فهذا هو الجلب السلبى . ويبقى جانب إيجابى ، ليس الآن مجاله ...

إن الخلاص - كما قلنا - موضوع واسع ، التوبة جزء منه .
والتوبة أيضاً موضوع واسع ، يقظة القلب جزء منه ، ونسحاق القلب وندمه جزء آخر ، وترك الخطية جزء ثالث ، وعدم عجة الخطية جزء رابع ، والاعتراف والتناوب والتحليل عناصر أخرى في التوبة . تشترك فيها الكنيسة مع شائب بمساعدته على التوبة ونوال الغفران .

وبما أن كل هذه العناصر ، لا تتم في لحظة .

ومن له أذنان للسمع فليسمع .

حديثنا الحالي عن الفارق بين المفهوم الواسع الذى للخلاص ، ومفهوم التوبة ، يجرنا هذا الحديث إلى موضوع مشابه هو :

الحظة بين التعمير والتخليص

١ - قرأت في أحد الكتب فقرة يقول فيها قائلها :

« شاول الملك عندما مسح صموئيل السى ، قال له : « يحس عليك روح الرب ... وتتحول إلى رجل آخر » (١ صم ١٠ : ٦) . وقد تم هذا القول لشاول في لحظة . إذ يسجل الكتاب قائلاً : « وكان عندما أدار كتفه لكى يذهب من عند صموئيل ، أن الله أعطاه قلباً آخر » (١ صم ١٠ : ٩) . ولاحظ تمييز بكتاب انه « عندما أدار كتفه » . وإدارة الكتف لا تستغرق وقتاً » (أه) .

وفي الواقع لست أجد في هذه القصة دليلاً على الخلاص في لحظة ، إنما أرى فيها دليلاً على عكس هذا !!

شاوول الملك تغير فعلاً ، وتغير في لحظة ، وأعطاه الله قلباً آخر ، وعص روح الرب فيه ، فجنها مع الأنبياء ، حتى قال الناس في تعجب : « أشاوول أيضاً بين الأنبياء ١٤ » كل هذا حدث حقاً . ولكن ماذا كانت نهاية شاوول ؟

٢ - إن شاوول الذي تغير في لحظة ، وحل عليه روح الرب وتنبأ ، لم يخلص أبداً ، بل هلك !

فقد ختمت حياة هذا الإنسان بجأسة ، قال فيها الوحي الإلهي : « وفارق روح الرب شاوول ، وبغته روح ردىء من قبل لرب » (١ صم ١٦ : ١٤) . وكان يحتاج إلى داود ، لكي يضرب له على العود فيهدأ . « والرب ندم لأنه ملك شاوول على إسرائيل » (١ صم ١٥ : ٣٥) . ولما ناح عليه صموئيل النبي ، قال له الرب : « حتى متى تنوح على شاوول ، وأنا قد رفضته ؟ ! » (١ صم ١٦ : ١) .

٣ - حقاً إن التغير شيء ، والخلاص شيء آخر ...

ولا يجوز أن نأخذ الكلام عن التغير ، كلاماً عن الخلاص .

إن شاوول الملك لم ينل خلاص بتغيره ، ولا بحلول روح الله عليه ، ولا بوهبة النبوة التي مُنحت له ، ولا بالمسحة المقدسة التي نالها من صموئيل النبي ! وكانت نهايته إلى الهلاك . ولهذا فإن الكتاب لا يعطي لأهمية الكبرى ، ولا اسم الخلاص للتغيرات التي تحدث حتى للقديسين ، وإنما يقول : « أنظروا ، إلى نهاية سيرتهم » (عب ١٣ : ٧) .

٤ - وما أسهل أن التغير إلى أفضل ، يعقبه تغير آخر إلى أسوأ . وحياة الإنسان دائمة التغير . والمهم هو كيف تنتهي أيام غربته في العالم .

ومثال شاوول الملك هذا ، عن التغير اللحظي ، لا يخدم بدعة الخلاص في لحظة ، بل هو ضدها تماماً .

ونفس الكلام نقوله أيضاً إن التغير في حياة لتوبة ، حتى لو تم في لحظة .. !

٥ - وقد يتغير إنسان في لحظة ، من خاطيء إلى قائب !

ولكن ذلك لا يعني أنه قد خلاص ، فقد يفقد توبته .

توبته قد تنقله من موت إلى الحياة ! ثم يعود إلى الموت مرة أخرى ، إن لم تسهر معه التوبة . وعاد إلى خطية ، وأجرة الخطية موت (روم ٦ : ٢٣) .

وقد تكون التوبة قوية جداً ، وعمل التوبة قوياً جداً .

٦ - ويتحول في التوبة من خاطئ إلى قديس ، ثم يفقد قداسه ويسقط ، ولا يكون قد خُصص في لحظة !

وبغض النظر عن أن كلمة قدس ، أطلقت في الكتاب في أحيان كثيرة على عموم المؤمنين ، كما قال بولس لروم : «سلموا على كل قديس في المسيح يسوع» (١ : ٢١) «ساهرين لها بعينه بكن موطنة ومطلة لأجل جميع القديسين» (أف ٦ : ١٨) وأرسل بولس رسائله إلى «جميع القديسين في المسيح يسوع الذين في فيلبي مع أساقفة وشمامسة» (في ١ : ١) . وإلى «القديسين أجمعين بدين في أنطاكية» (٢ كو ١ : ١) وإلى «القديسين الذين في كولوسي» (كو ١ : ٢) (انظر أيضاً في ٤ : ٢٢ ؛ عب ١٣ : ٢٤ ؛ ١ كو ١ : ٢ ؛ ٢ كو ١٣ : ١٣) .

بغض النظر عن كل هذا ، يقول : كم من قديسين سقطوا ، وفقدوا الدفعة الأولى في حياتهم التي حولتهم إلى قديسين ، واحتاجوا إلى تكرار التوبة والتغير من جديد ...

داود النبي كان قديساً ، وسقط ، واحتاج إلى توبة ودموع . وشمشون كان قديساً ، ومن رجال الإيمان (عب ١١ : ٣٢) . ومع ذلك سقط ، واحتاج إلى توبة لكي يخلص . سليمان كان قديساً ، وتحدث مع الله أكثر من مرة وتراءى له في جبعون ، ومنحه قلباً حكيماً عميراً لم يكن مثله من قبل ولا من بعد (١ مل ٣ : ٥ - ١٢) . وتراءى له ثانية بعد تدشين الهيكل ، وأخبره أنه سمع صلاته (١ مل ٩ : ٢ ، ٣) . ومع ذلك سقط سليمان (١ مل ١١ : ٤) واحتاج إلى توبة .

وبعوزنا الوقت إن تحدثنا عن قديسين في التاريخ سقطوا ، واحتاجوا إلى توبة لخلاصهم ، ومن أمثلتهم يعقوب المحاهد ، وموسى السائح ، وبائسة .. وغيرهم .

إذن الوصول إلى القداسة شيء ، والوصول إلى الخلاص شيء آخر ، إذ يمكن فقد القداسة . والإنسان دائم التغير .

٧ - يمكن أن يتغير الإنسان من حاطيء إلى قديس ، ولا يكون قد خلاص بعد ، لأنه محتاج إلى الثبات في القداسة ، وليس إلى مجرد التحول إليها ...

وهذا الرسول يقول : « فإذا كنت هذه المواعيد أيها الأحباء ، سنظهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح ، مكملين القداسة في خوف الله » (٢ كو ٧ : ١) ويقول : « يثبت قلوبكم بلا لوم في القداسة » (١ تس ٣ : ١٣) .

٨ - لذلك نقول إن الخلاص هو قصة العمر كله ، يمر فيها الإنسان على الإيمان والتوبة والمعمودية والقداسة ، ويحتاج إلى أن يثبت .

إنه يتغير في سلوكه من حالة إلى أخرى . ولكن عيبه أن يثبت في حالة الفضل التي يصل إليها . ولا يظن أن مجرد التغير هو الخلاص ...

٩ - وهناك من يتغير ويخلص ، ولكنه لا يخلص في وقت تغيره .

شاوول الطرسوسي مثلاً : تغير قلبه من مضطهد للكنيسة إلى مؤمن بالرب يسوع ، وصار أثناء مختاراً (أع ٩) . ولكنه لم يخلص في لحظة لقائه بالرب ، وفي لحظة هذا التغير .

بل أرسله الرب إلى حنانيا الذي قال له : « أيها الأخ شاوول ... لماذا تتواني ؟ قم اعتمد واغسل خطاياك » (أع ٢٢ : ١٦) . إذ أن خطياه لم تكن قد غسلت حتى ذلك الوقت . فلما اعتمد غُتسل منها وخلص (مر ١٦ : ١٦) .

إذن ساعة التغير ، ليست هي ساعة الخلاص

كما أن كثيرين يحتاجون إلى مدة طويلة للتغير ..

١٠ - ما أكثر نواحي التغير في حياة الإنسان . ولكن ليس كل تغير خلاصاً . إنك قد تتأثر بعظة أو بقراءة معينة ، فتغير شيئاً من حياتك ، أو تغير حياتك كلها . ولكن هذا التعبير ليس هو الخلاص .

ربما مزموه واحد يغير حياتك ، أو آية تغير حياتك ، أو معجزة تغير حياتك . تغيرها إلى التوبة أو التكريس مثلاً .

١١ - ولكن تكريس الحياة شيء ، والخلاص شيء آخر .

إن آية واحدة سمعها الأنبا أنطونيوس ، استطاعت أن تغير حياته فذهب وباع كل ماله واعطاه للفقراء ، واتجه إلى حياة الرهبة . أيجزأ أحد أن يقول إن الأنبا أنطونيوس نال الخلاص ، حينما سمع هذه الآية وتغير ؟

حقاً إنه تغير . ولكن الرهبة شيء ، والخلاص شيء آخر .

إذن لا يجوز أن نأخذ كل تغيير على أنه خلاص !

١٢ - حدث أيضاً أن القديس أوغسطينوس جلس جلسة روحية مع نفسه ، قادته إلى التوبة وتغيير الحياة . وكانت جلسة تاريخية حاسمة ، ولكنه لم ينل الخلاص في تلك الجلسة . ولقد قرأ كتاب حياة الأنبا أنطونيوس ، وتأثر به جداً . ولكن هذا التأثير وما تبعه من تغيير لم يكن هو الخلاص ، إنما كان خطوة في الطريق .

إن الجلسة مع النفس هامة ، وقد نكون نتيجتها تغيراً أو سعياً إلى التوبة . ولكنها مجرد خطوات إلى الله .

ليست هذه الخطوات هي الخلاص ، إنما تفود إليه .

قد تأخذ من الجلسة قوة من الله ونعمة تعينك في حياتك . وقد تنتهي إلى تصميم داخل على التوبة . كل هذا حسن ومفيد ، ولكن ليس هو الخلاص . إنها مجرد وسائل ... هكذا كان القديسون يجلسون إلى أنفسهم ، أو يدخلون داخل أنفسهم . ولكنهم لم ينالوا خلاص في تلك اللحظات ، إنما نالوا نعمة وبركة .

بعض من الذين تغيروا ، ونالوا خلاصاً بالإيمان والتوبة والمعمودية ، تعرضوا لتغيير عكسي أوصلهم إلى الردة .

وقصص هذه الردة كثيرة في الكتاب المقدس : منها قصة ديماس الذي كان أحد مساعدي القديس بولس الرسول في الكرنزة (كو ٤ : ١٤) والذي ذكره في إحدى المرات قبل القديس لوقا (قل ٢٤) . هذا تغير وارتد وقال عنه القديس بولس : « ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر » (٢ تي ٤ : ٩) .

ومن أمثلة ديماس ، أولئك الذين قال عنهم الرسول : « لأن كثيرين ممن كنت أذكرهم لكم مراراً ، والآن أذكرهم أيضاً باكياً ، وهم أعداء صليب المسيح » (في ٣ : ١٨) .

إن الردة رد على من يضعون عبارة (التغير) في موضع كلمة (خلاص) . ما أسهل أن يتغير الإنسان في لحظة ، من خاطيء إلى تائب ، إلى قديس . ويتنقل من ظلمة إلى نور ، ومن موت إلى حياة ، وينال قوة .

ثم يتغير إلى العكس مرة ثانية ، وقد يهلك أخيراً !



ليست لحظات خلاص

١ - في حياة كل إنسان ، لا شك توجد لحظات مباركة :

قد تكون لحظات مباركة أو مقدسة .

أو لحظات مصيرية .

أو لحظات مجيدة .

أو لحظات زهد ونسك .

أو لحظات تغيير أو تحول في التفكير والقرارات .

أو لحظات اتفاق أو عهد مع الله .

أو لحظات توبة ، أو مصالحة مع الله .

أو لحظات تأمل .

ولكن ولا واحدة من هذه ، يمكن تسميتها لحظة خلاص .

وسنحاول أن نضرب أمثلة لكل هذه أو بعضها :

٢ - اللحظة التي تأمل فيها القديس أنطونيوس جثة أبيه ، وقال له : [أين عظمتك وقوتك وسلطانك ؟] لقد خرجت من العالم بغير إرادتك . ولكنني سأترك العالم بارادتي ، قبل أن يخرجوني كارهاً .

كانت هي لحظة زهد ونسك ، وكانت لحظة مصيرية . ولكنها لم تكن لحظة خلاص . لأننا لا نستطيع أن نقول عن القديس أنطونيوس انه خلص في تلك اللحظة .

ولكن يمكننا أن نقول إنها لحظة مباركة ، لحظة تأمل ، شعر فيها القديس أنطونيوس بفناء هذا لعالم ، في هذا ، وحط بنا الطريق الملائكي الجميل ...

٣ - كذلك المحطات التي جلس فيه الابن الضال إلى نفسه ، وهوبين الخنازير في تلك الكورة البعيدة ، وأدرك سوء حاله ، وعزم على التوبة والرجوع إلى بيت أبيه ...

كانت لحظات مصيرية ، غيرت حياة الابن الضال ، وأرجعته إلى بيت أبيه ، ولكنها لم تكن لحظة خلاص ، لأن الخلاص لا يمكن أن يتم في الكورة البعيدة !

٤ - كذلك كانت لحظة مباركة تلك التي جلس فيها القديس أوغسطينوس إلى نومه ، وأيضاً تلك الساعات لى تأثر فيها جداً بقراءة سيرة الأنبا أنطونيوس . ولكنها لم تكن مطلقاً لحظة خلاص .

إن القديس لم يخلص وهو يقرأ حياة الأنبا أنطونيوس !

٥ - كذلك قد تمر على الإنسان لحظات توبة ، يشعر فيها بكراهية الخطية ، أو يرى فيها أن محبة الخطية قد انتزعت تماماً من قلبه ولم يعد يشتاق إليها ، سواء الخطية عموماً ، أو خطية معينة ... ولكن كل لحظة من هذه ، ليست لحظة خلاص .

إنها لحظة توبة ، وليست لحظة خلاص . وما أسهل أن يعود إلى الخطية مرة أخرى ، بعد شعوره أن محبتها قد انتزعت من قلبه .

٦ - وقد تمر على لإنسان لحظات مقدسة ، يتمتع فيها بزيارة من زيارات النعمة ، ويسمع بها صوت الله في قلبه ، ويكون في حالة روحية يشعر بها تماماً أنه في

الملكوت . 'لم يعمل الرب : « ملكوت الله داخلكم » (لوقا ١٧ : ٢١) .

ريادة النعمة لحظة مقدسة ، ولكنها ليست لحظة خلاص .

بها متعة د الله ، وشعور بوجوده ، وشعور بعمل الله داخل الإنسان . ولكنها لا تستمر . هي مجرد مذاقة للملكوت ، ثم يعود الإنسان إلى حالته الأولى ، أو إلى حالة أفضل قليلاً ، ولكنه لا يستمر في هذا الملكوت طول حياته ...

٧ - وقد تمر على الإنسان لحظات توبة أو لحظات تغير ، ولكنها ليست لحظات خلاص كما شرحنا .

وقد يشعر الإنسان بضرورة التوبة لأن ، وعدم تأجيلها مطلقاً ، كما حدث لأوغسطينوس ، وكما حدث للأب الفصال . ولكن التوبة وليست هي الخلاص . هي مجرد فرع منه ، وتحتاج إلى خصوات معه . كما يمكن أن تحدث ردة أو بكسة للإنسان ، فيرجع إلى الخطية مرة أخرى بعد توبته . وشيطان قد يترك الشخص « إلى حين » (لوقا ١٣ : ٤) ثم يعود إلى تحاربه مرة أخرى .

مزمور واحد قد يغير حياة الإنسان ويجذبه إلى الله . ثم تجربة بعد ذلك قد تقذف به بعيداً . وهكذا يجتاز مراحل عديدة من التغير ، حتى يستقر في حصن الله ، ولكن ليس في لحظة !

٨ - كذلك قد تمر على الإنسان لحظات اتفاق أو عهد مع الله . يكون في حالة روحية يبرم فيها مع الله عهداً . ثم يقول : « تعهدات فمي باركها يا رب » (مز ١١٩) . لأنه ما أكثر تعهدات الإنسان التي لا يثبت فيها ، كما قيل :

كم وعدت الله وعداً حائثاً لينسى من خوف صمفي لم أجد حقاً إذا اقتنع القلب ، تستطيع في لحظة أن تصل إلى اتفاق مع الله إن أردت . ولكن الاتفاق شيء ، وتنفيذ الاتفاق شيء آخر . ربما تتفق مع الله في لحظة ، ثم تكسر اتفاقك في لحظات أخرى .

٩ - هناك أيضاً لحظات مقدسة قد تقود إلى الإيمان . فلا شك أنها مقدسة ومملوءة بركة تلك اللحظة التي جلس فيها مار مرقس ، إلى أنيانوس الاسكافي ليصلح حذاءه .

ولكن لحظة اصلاح الحذاء ، لم تكن هي لحظة الخلاص . إنما كانت بداية حديث وشرح أدى إلى الإيمان وإلى المعمودية فيما بعد . ولم يتم كل ذلك في لحظة .

ومع ذلك فقد كانت لحظة مقدسة ولحظة مباركة ، كبداية طريق روحي اقتنع فيها ذلك الاسكافي بزيف الوثنية ، كما أفتنع بالإيمان المسيحي . ولا يمكن أن يكون هذا الإيمان قد تم في لحظة .

١٠ - وقد تمر على الإنسان لحظات في العمل الروحي الداخلي .

لحظات صلاة ، أو مناجاة ، أو صراع مع الله . يجلس فيها مع الله ويقول له : "يا رب قد رجعت إليك بعد زمان طويل من لغربة قضيت وأنا بعيد عك . أنا أريد أن أكون معك دائماً ... أريد أن أجلس إليك اصالحك ، وأصالحك بأى شرط " .

صلاة جيلة ، ورغبة في المصالحة ، ولكنها ليست لحظة خلاص .

فقد تقف عوائق كثيرة ضد هذه المصالحة ، ويتعرض الإنسان إلى مقاومات عملية ، وحروب داخلية وخارجية ، حتى يصل إلى هذا الصبح ويثبت فيه . لأنه ما أسهل أن يصطالح الإنسان مع الله ، ويرجع فينصبه مرة أخرى

١١ - ومن اللحظات المقدسة ، لحظة المغفرة .

في اللحظة التي أسند فيها لمسيح نفسه على الصليب ، قدم مغفرة شاملة . هذا من جهته هو . أما من جهة الناس فلم ينالوا هذه المغفرة في لحظة . إنما نالها كل شخص على حدة ، أو كل مجموعة بعد خدمة الكلمة والكراسة ، وبعد معجزات وآيات ، وبعد شرح وفتح ، وبعد إيمان وتوبة ومعمودية . ولم ينلها أحد في لحظة

فرق بين عمل الله الذي يتم في لحظة ، وعمل الإنسان .

إن الله يقدر أن يغفر لك في لحظة . ولكنك لكي تصل إلى استحقاق هذه المغفرة قد تحتاج إلى جهد طويل ووقت .

ومع ذلك قد غفر الله أحياناً ، ثم عاقب بعدها .

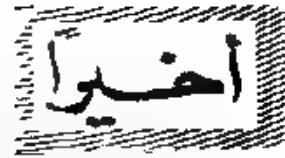
ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك قصة ذلك العبد المدين الذي ترك له السيد عشرة آلاف وزنة . ثم تقابل هذا مع رفيق له مدينون بمائة دينار فأمسكه وألقاه في السجن . فما الذي حدث لهذا العبد المدين الذي ترك له سيده كل الدين ؟ يقول الكتاب :

« فدعاه حينئذ سيده وقال له : أيها العبد لشريير ، كل ذلك الدين تركته لك ، لأنك طلبت إني . أفما كان ينبغي أنك أنت أيضاً ترحم العبد رفيقك ، كما رحمتك أنا ؟ » وغضب سيده وسلمه إلى المعتدين ، حتى يوفى كل ما كان عليه .. وهكذا أبى السماوى بفعل بكم ، إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته « (مت ١٨ : ٢٤ - ٣٥) .

وأخيراً هناك لحظة مجيدة قد تساوى حياة ..

مثل لحظة وقوف موسى وإيليا مع المسيح على جبل اتحي ، ومثل خطوات من رؤيا يوحنا الحبيب التي رأى فيها عرش الله والقوات السمائية ، ومثل اللحظة التي رأى فيها يعقوب أبو لآبء سلماً بين السماء والأرض ولثلاثكة صاعدة ونازلة عليه ، ومثل لحظة وقوف موسى أمام العليقة ، أو أمام البحر المنشق إلى نصفين ...

كلها لحظات مجيدة ، ولكنها ليست لحظات خلاص .



لا نأخذ كل جملة وردت فيها عبارة « لحظة » لكي تكون دليلاً على (الخلاص في لحظة) ١١ . إن كل عبارة ما معناها واستخدامها ، الذي قد لا يكون له علاقة على الإطلاق بموضوع الخلاص .

كل كلمة في الموضوعات اللاهوتية تحتاج إلى عمق في فهمها ، لأن لفظة قد تختلف تماماً تماماً عن لفظة أخرى .

وقن له اذان للسمع فليسمع (لو ١٤ : ٣٥) .

المغفرة قبل الصليب

يركز الاخوة الروتسنتانت - في موضوع الخلاص - على مجموعة من الآيات ، يريدون أن يثبتوا بها أن المغفرة قد تمت في لحظة ، وأنها تمت بدون تدخل من الكيسة ، وبدون الأسرار ، وبدون الكهنوت !... فما هي هذه الآيات لتعهمها معاً ؟

آيات يلزمنا فهمها :

- ١ - قول الرب للمعلوح : « مغفرة لك خطاياك » (مر ٢ : ٥) .
 - ٢ - قول الرب للمرأة الخاطئة : « مغفرة لك خطاياك » (لو ٧ : ٤٨) .
 - ٣ - قوله عن ركبا : « اليوم حصل خلاص لهذا البيت » (لو ١٩ : ٩) .
 - ٤ - قوله عن العشار : « إنه نزل إلى بيته مبرراً » (لو ١٨ : ١٤) .
- وقاعدتنا التي نسير عليها ، هي أن نفهم النصوص المقدسة في ضوء المفهوم اللاهوتي السليم ، خوفاً من أن يحدث تناقض بين النصوص ، والمفاهيم اللاهوتية الثابتة . فما هي القواعد اللاهوتية التي تضعها أمامنا ، لكي نفهم هذه الآيات وغيرها فهماً سليماً ؟

القاعدة الأولى هي أنه « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » (عب ٩ : ٢٢) . وهذه القاعدة هي أساس الفداء عند الكل .

وهذه المغفرة تم نوالها ، حينما سفك السيد المسيح دمه على لصيب من أجلنا ، بعد أن « وضع الرب عليه إثم جميعنا » (إثم ٥٣ : ٦) . وهكذا « حل خطايا العالم كله » ومات كفارة لخطايا العالم كله (يو ١ : ٢٩ : ١٠ : ٢٩ : ٢) .

استنتاجاً من هذا نصنع أمامنا قاعدة لاهوتية أخرى وهي :

لم ينل أحد الخلاص قبل صلب المسيح ، حتى الآباء والأنبياء .

بل إن القديس بولس الرسول يقول عن كل أبطال الإيمان من الآباء والأنبياء : « في الإيمان مات هؤلاء أحسنون . وهم لم ينالوا المواعيد ، بل من بعيد نظروها وصدقوها » (عب ١١ : ١٣) .

وكل الآباء والأنبياء انتظروا في الجحيم ، على رجاء ، دون أن ينالوا الخلاص ، إلى أن نقلهم المسيح إلى الفردوس بعد صلبه .

لما مات المسيح ، ودفع أجرة الخطية التي هي الموت (روم ٦ : ٢٣) ، حيث « نزل إلى أقسام الأرض السفلى » « وسبى سبياً » (أف ٤ : ٩ ، ٨) « ذهب وكرز للأرواح التي في السجن » (١ بط ٣ : ١٩) . وهكذا منح « الخلاص الذي فتن وبعث عنه أنبياء » (١ بط ١ : ١٠) . هذا خلاص الذي لم ينله أحد إلا بدم المسيح ، الذي كان « معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ، ولكن قد أظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم » (١ بط ١ : ٢٠) .

فالذي ينادى بخلاص ومغفرة قبل صلب المسيح ، إنما ينكر عقيدة الفداء ، ويكون المسيح قد نحمد إذن عبثاً ، بلا هدف !

إن كان يمكن للرب أن يمنح الخلاص والمغفرة ، بكلمة ، بدون الدم والفداء ، فلماذا إذن التحسد و صلب والآلام والجلجلة ؟ وأين يكون موضع العدل الإلهي ؟
حقاً إن الله يستطيع كل شيء ، ويستطيع أن يمنح لمغفرة بكلمة ... ولكنه لا يفعل ذلك على حساب عدله !

وعدله يقتضي دفع ثمن الخطية ، ونحن الخطية هو الموت . والموت حدث على الصليب . لذلك تأجل منح كل مغفرة ، إلى أن يتم الفداء على الصليب . مادام الأمر هكذا ، فكيف نفهم كل مغفرة قبل الصليب ؟

كل مغفرة قبل الصليب ، هي وعد بالمغفرة ، أو صك بالمغفرة . وقد تم نوال هذه المغفرة لما مات المسيح على الصليب .

على الصليب غفر الرب خطايا المفلوج ، وخطايا المرأة الخائفة ، وخطايا زكا والعشار . وأيضاً على الصليب ، وعليه وحده ، تمت المغفرة لكل الذين أخذوا كلمة أو صكاً بالمغفرة في العهد القديم ، عن طريق ذنائب الخطية والإثم ، وعن طريق المعوقات وتصريحات الكهنة والأنبياء .

وبهذا لا يكون الخلاص من الخطية قد تم في لحظة ، بالنسبة إلى المفلوج ، والمرأة الخائفة ، والعشار ، وزكا ، وأمثالهم ...

إنما ألعنوا صكاً بالمغفرة ، ونالوا هذه المغفرة على الصليب .

إنهم استحقوا المغفرة بكلمة المسيح ، لأنها تصريح إلهي ونعمة إلهية . ولكن هناك فرقاً بين استحقاق المغفرة ونوال المغفرة .

فلو كان المفلوج أو العشار أو زكا .. قد مات قبل الصليب ، لكان عليه أن ينتظر في الجحيم ، إلى أن ينقله المسيح إلى الفردوس - حسب وعده - بعد الصليب والفداء . نقطة أخرى تضيفها ، أو مفهوماً لاهوتياً آخر:

لوعاش كل هؤلاء الذين سمعوا كلمة المغفرة ، إلى ما بعد تأسيس الكنيسة وأسرارها ، لكان عليهم أن ينالوا نعمة العماد ، وباقي نعم الأسرار الكنسية ، حسب قول الرب : « من آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) وحسب قوله : « إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه ، فليست لكم حياة فيكم » (يو ٦ : ٥٣) .

إن مغفرة الرب لهم قبل صليبه ، لا تعني أن يخرجوا عن تعليمه الذي أودعه رسنه قائلاً لهم : « تلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم ... وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به » (مت ٢٨ : ١٩ ، ٢٠) .

في وقت منح المغفرة لكل هؤلاء ، لم تكن الأسرار الكنسية قد تأسست . وما كانوا مطالبين بمعمودية ، لأن المعمودية هي موت مع المسيح (رو ٦ : ٣ ، ٤) ولم يكن المسيح قد مات بعد ...

إن الأسرار الكنسية قد تأسست على استحقاقات دم المسيح . ولم يكن دم المسيح قد سُفك بعد في ذلك الحين ، فلا داعي إذن لتحديث عن هذه الأسرار ، وإشراطها قبل تأسيسها ...

فإن قال أحد إنه في كل أمثلة المغفرة السابقة ، لم يرد ذكر للكنيسة والكهنة والأسرار ، فلا لزوم لكل هذا !!.. نقول أيضاً إنه لم يرد في أي منها ذكر للفداء والدم والكفارة والإيمان بالمسيح قادياً ومخلصاً ... فهل على نفس المقياس ، لا لزوم لكل هذا !!

التي هي من الإيمان

لا يوجد أحد يجادل في أن الإيمان لازم للخلاص . فالذي لا يؤمن يهلك .
والسيد المسيح يقول : « ومن لم يؤمن يدين » (مر ١٦ : ١٦) . ويقول الكتاب أيضاً :
« الذي يؤمن به لا يدين . والذي لا يؤمن قد دين ، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله
لوحيد » (يو ٣ : ١٨) . انظر أيضاً (يو ٣ : ٣٦) . ولا داعي لأن نورد كل الآيات
الخاصة بالإيمان ، فلزوم الإيمان قاعدة مسلم بها من الجميع .

**إنما الأمر غير المقبول هو التعليم بأن الخلاص يكون بالإيمان وحده ، مع
تجاهل مسائل إيمانية من تعليم المسيح نفسه !**

فالمسيح هو الذي قال : « من آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) . ولم
يقُل : « من آمن خلص » بحذف المعمودية . والمسيح هو الذي قال عن التوبة : « إن
لم تتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٣ ، ٥) . وهو الذي قال عن
الأعمال : « ليس كل من يقول لي يارب يارب ، يدخل ملكوت السموات . بل الذي
يفعل إرادة أبي الذي في السموات » (مت ٧ : ٢١) .

**لماذا إذن التركيز على الإيمان وحده في موضوع الخلاص ، وتجاهل المعمودية
والتوبة والأعمال ، وكلها من تعليم المسيح ؟ وكذلك التناول من جسده ودمه
(يو ٦ : ٥٣) !**

إنه نوع من التطرف أن يتحمس إنسان لشيء ، فيدعي أنه كل شيء ، وإن ما
عداه لا شيء ... !

الإيمان له أهميته . والمعمودية أيضاً لها أهميتها . والتوبة لها أهميتها . وباقي الأمور
ما أهميتها . فما معنى إنكار كل شيء . والاصرار على عبارة « آمن فقط » ، بينما
الكتاب يذكر إلى جوار الإيمان أموراً كثيرة ...

إننا نشدد على الإيمان ، في الكرازة لغير المؤمنين ...

وهكذا كان يعمل الآباء الرسل في التبشير بالإيمان لنير المؤمنين ، على اعتبار أن كل أعمالهم الصالحة بدون إيمان ، لا يمكن أن تخلصهم . فلابد من الإيمان بالفداء ، والإيمان بالمسيح فادياً ومخلصاً .

وإيمانهم هذا هو الخطوة الأولى التي تقودهم إلى باقى لنقط التي هي من حقائق الإيمان المسيحي وجزء منه .

إن الرسل ما كانوا يستطيعون أن يحدثوا غير المؤمنين عن المعمودية وأهميتها لمخلص . فإن آمنوا ، حدثوهم عنها ، وعمدوهم . وهم لا يستطيعون أن يبدأوا الحديث مع غير المؤمنين عن التناول من جسد المسيح ودمه ، إنما عليهم أولاً أن يؤمنوا بالمسيح ، وذبيحة المسيح على الصليب . وبعد ذلك يحدثوهم عن جسد المسيح ودمه ... فهذا هو المنطق الطبيعي لخطوات التعليم .

سجنان فيلسي ، يحدثونه أولاً عن الإيمان بالمسيح لكي يخلص . فإن آمن بالمسيح ، يحدثونه عن المعمودية ، ويعمدونه هو والذين له أجمعين (أع ١٦ : ٣٠ - ٣٣) .

إن كلام الرسل عن الإيمان ، لا يلنى أهمية المعمودية والأسرار الكنسية التي تأتي بعده . بل الإيمان هو خطوة مهمة لها ، لأنه لا ينال من أسرار الكنيسة إلا المؤمنون ... المؤمنون بالمسيح والمؤمنون بها . فهي جزء من الإيمان .

وهنا نأخذ الإيمان بمعناه الواسع ، أى الإيمان بكل الحقائق الإيمانية ، التي ترد في قانون الإيمان ، وفي كل عقيدة الكنيسة ، في كل تعليم المسيح .

هل الإيمان ، هو فقط الإيمان بالمسيح فدياً ومخلصاً ؟ أم هو الإيمان أيضاً بلاهوت المسيح وتجسده وصليبه وقيامته وصعوده وبجيته الثاني ... وأيضاً الإيمان بالثالوث القدوس ، وبسبل الروح القدس في الكنيسة ، والإيمان بالمعمودية والقيامة العامة ، وكل حقائق الإنجيل .

والإيمان ليس هو الحقائق النظرية ، بل أيضاً حياة الإيمان .

وحياة الإيمان تشمل الإيمان الحى (يع ٢ : ١٧ ، ٢٠) ، العامل بالمحبة .

وحياة الإيمان تشمل الإيمان الحى (غل ٣ : ١١ ، يع ٢ : ١٧ ، ٢٠) ، والإيمان العامل بالمحبة (غل ٥ : ٦) ، الذى يثمر ثمر الروح (غل ٥ : ٢٢) ... حقاً إن كلمة « الإيمان » كلمة واسعة للذين يفهمونها ، قد تشمل الحياة الروحية كلها (اقرأ الفصل الخاص بالإيمان فى كتابنا : الخلاص فى المفهوم الأرثوذكسى) .

والحديث عن الإيمان ، حتى الإيمان وحده ، لا يلقى أهمية الكنيسة . لأن الإيمان يناله الإنسان عن طريق الكنيسة .

كيف وصل لإيمان إلى العالم ؟ أليس عن طريق الكنيسة ؟ أليس عن طريق معلمى لكنيسة الذين نشروا الإيمان فى المسكونة كلها : أولاً الآباء الرسل ، ثم تلاميذهم الآباء الأساقفة ولقسوس ... إلى كس المعلمين فى جيلتنا .

هوذا بولس الرسول يقول : « لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص . فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به ؟ وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به ؟ وكيف يسمعون بلا كارز ؟ وكيف يكرزون إن لم يُرسلوا ؟ » (رو ١٠ : ١٣ - ١٥) .

ماذا يقول إدن عن الذين قالوا الإيمان عن طريق الكنيسة لكى يخلصوا . ولما آموا ، أنكروا أهمية الكنيسة فى موضوع الخلاص !

تبقى بعد ذلك نقطة خاصة بعلاقة لإيمان بالمعمودية :

فالبعض يمنعون المعمودية الأطفال ، لأنهم لم يصلوا بعد إلى الإيمان الواهى . وينتظرون عليهم بلا المعمودية حتى ينضجوا !

فما مصير هؤلاء الأطفال إذن ، بلا المعمودية ، وبلا إيمان ، هل نتركهم ليهلكوا ؟ !

لقد خصصت دُنياً طويلاً عن « المعمودية الأطفال » فى الجزء الخاص بالمعمودية فى كتابنا « اللاهوت المقارن » أنصح بقراءته . أما الآن فأقول إن الأطفال ليست لهم أية عوثق ضد الإيمان . ونحن نعمدهم على إيمان والديهم ليخلصوا ، كما خلص الأطفال الأكار بإيمان والديهم الذين لصخوا الأبواب بدم الفصح (خر ١٢) ، وكما خلص الأطفال بإيمان آبائهم وأمهاتهم فى عبور البحر الأحمر ، وكما خلصوا بإيمان لآباء

والأمهات بالختان في اليوم الثامن (تك ١٧). وكان الختان يرمز إلى العسودية (كو ٢ : ١١ ، ١٢).

نعمد الأطفال حرصاً على خلاصهم (يو ٣ : ٥ ؛ مر ١٦ : ١٦) . وبالعمودية يدخلون الكنيسة ويتلقون فيها الإيمان من نعمة أظفارهم . يعيشون فيه إيماناً حياً ، وليس مجرد إيمان عقلي .

أما ان تركنا الأطفال بدون عماد ، وبدون عسودية الكنيسة والاشتراف في حياتها ، وفي عمل الروح القدس في أسرارها ، فإننا نكون بذلك قد أبعدناهم عن الإيمان العمل الذي يحيونه بالمعمودية ، ويتشربونه من حياة الكنيسة ..

يقولون : وماذا إن كسر الطفل ولم يؤمن أو فسد ؟

نقول إن تعليمه الإيمان هو مسئولية والديه ، ومسئولية الكنيسة . فإن رفض الإيمان حينما يكبر ، يكون كأي مرتد (عب ١٠ : ٣٨) . ونكون نحن قد أدبنا ولجبنا من نحوه ، ولم نفتح عنه وسائل الخلاص . وفي نفس الوقت لستنا نرغم حرية إرادته ...

هنا ونود أن نقول ملاحظة عن « الإيمان الواعي » :

هل كل الكبار لهم النضوج الروحي والذهني ، الذي يدخلهم تحت عبارة « الإيمان الواعي » ؟ ألا يوجد كبار كثيرون ليس لهم هذا الوعي ولا هذا النضوج ، ولا يعرفون من الإيمان إلا أموراً بسيطة . ولا يستوعبون كثيراً من أعماق الإيمان وحقائقه ... ما هي مقاييس هذا الإيمان الواعي ؟ وما مدى تطابقه على طبقات من الشعب تحتاج إلى مدى زمني طويل لكي تصل إلى هذا الوعي ، وقد لا تصل إطلاقاً ...! وعلى الرغم من هذا ، قد سمح بعمادهم من جهة السن . أما من جهة المعرفة فلا فرق بينهم وبين الصغار ...! هل لا يسمح بعماد هؤلاء أيضاً ؟ وإلا لماذا إذن التركيز على الأطفال ، الذين قال عنهم المسيح : « دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعهم ، لأن مثل هؤلاء ملكوت السموات » (مت ١٩ : ١٤) .

التبرير أم التقديس

يقولون : نحن في الكلام عن الخلاص في لحظة ، إذ نقصد التبرير وليس التقديس ، لأن التقديس يحتاج إلى مسيرة العمر كله ... !
فنجيبهم . ولكننا هنا نتحدث عن الخلاص . ولنا نقول التبرير أو التقديس ، وإنما الخلاص بوجه عام .

فإن كنتم تقصدون مجرد التبرير ، إذن حددوا كلامكم وقلوا : إنما نقصد التبرير في لحظة ، وليس الخلاص في لحظة .

فإن قصدتم بالتبرير ، الخلاص من الخطية الأصلية ، ومن الخطايا السابقة للمعمودية ، وليس البر الذي في المسيح يسوع (غلا ٣ : ٢٧) ، حينئذ يقدم السؤال الثاني :

وهل هذا التبرير ، هو أيضاً يتم في لحظة ؟

إن كان لا بد من الإيمان والمعمودية حسب قول السيد المسيح : « من آمن وأعتد خالص » (مر ١٦ : ١٦) . وإن كان لا بد من لتوبة حسب قول القديس بطرس في يوم الخمسين (أع ٢ : ٣٨) ... فكيف يمكن أن يجتمع الإيمان والتوبة والمعمودية في لحظة ؟

إذن هذا التبرير لا يمكن أن يتم في لحظة ...

إن قلنا إنه يتم في (لحظة) لمعمودية ، نكون قد تجاهلنا الإيمان ، وتجاهلنا لتوبة التي ينبغي أن تسبق المعمودية .

وإن قلنا إنه يتم في (لحظة) لإيمان ، نكون قد تجاهلنا المعمودية وتوبة ...

ومع ذلك فلا إيمان لا يتم في لحظة ، ولا المعمودية في لحظة . وقد شرحنا هذا من قبل (انظر ص ٧٥) .

الإجابة بآية تكفى

درج البعض في كثير من الأمور اللاهوتية ، أن يضعوا سؤالاً يجاب عليه بآية . ويحاولون بهذا أن يقنعوا (ايستاء) وغير عارفين ، على أساس أن هذا هو تعليم الكتاب ! أو أن هذا هو الحق الإنجيلي ..

هكذا فعل السبتيون لأدفتست في كتبهم « الله يتكلم » . وهكذا يفعل كثير من كاتبى التبدات ، وواضعى الكتب المخالفة للعقيدة . ونحن نقول لكل هؤلاء :
إن آية واحدة من الكتاب - في الأمور المختلف عليها - لا تكفى ، ولا تقدم الحق الكتابي . إنما يقدمه تجميع آيات الكتاب المتعلقة بالموضوع ، حتى يتكامل الفهم ...

وفي كتابنا « الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي » تجدون موضوعاً كاملاً بعنوان «خطورة الآية الواحدة» يمكن الرجوع إليه . أم في هذا المجال فسوف أقدم لكم بضعة أمثلة ، تظهر لنا خطأ الإجابة بآية واحدة :

١ - لنفرض أن إنساناً سألك عن كيفية الولادة من الله ؟

أستطيع أن نجيب عليه ، بأن تقدم له هذه الآية : « إن علمتم أنه بار هو ، فاعملوا أن كن من يصنع البر مولود منه » (١ يو ٢ : ٢٩) !! هل يمكن بهذه الآية وحدها أن تقدم تعليماً كتابياً ، خلاصته أن الإنسان يولد من الله ، عن طريق أعمال البر التي يعملها ! دون ذكر إطلاقاً للإيمان ولعمودية !!

وبالمثل هل يمكن للإجابة على نفس السؤال ، أن تضع الآية التي تقول : « شاء فولدنا بكلمة الحق » (يوح ١ : ١٧) . ويصبح الميلاد الثاني بمجرد الكلمة ، دون ذكر لقبول والإيمان والعمودية والتوبة .. !

أم إنك في الإجابة على السؤال الخاص بالميلاد الثاني ، تضع كل الآيات المتعلقة بالميلاد ، هاتين وغيرهما ...

مثل قول السيد المسيح : « إن كان أحد لا يولد من الماء والروح ، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) وأيضاً قول الكتاب : « بل بمقتضى رحمته خلصتنا ، بغسل الميلاد الثاني وتجديد لروح القدس » (تي ٣ : ٥) ..

٢ - ولنفرض أن إنساناً سألك : ما هي الديانة المقبولة من الله ؟

أستطيع أن تجيبه بآية واحدة هي : « الديانة الطاهرة النقية عند الله الأب ، هي هذه : افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم ، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم » (يع ١ : ٢٧) . وهل تمثل هذه الآية وحدها ، كل الحق الكتابي ، دون أى حديث عن الإيمان السليم ؟

يقيناً أنك لن تقبل . فلماذا إذن تستخدم الآية الواحدة في مواضع أخرى ، لتخدم أفكارك ؟

٣ - وإن سألك أحد : كيف ينتقل الخاطئ من الموت إلى الحياة ؟

أستطيع أن توقعه أمام آية واحدة فقط هي قول القديس يوحنا الرسول : « نحن نعلم أننا انتقلنا من الموت إلى الحياة ، لأننا نحب لإخوة » (١ يو ٣ : ١٤) .

هل بهذه الآية وحدها ، تكون قد قدمت التعليم الكتابي والحق الإنجيلي في كيفية الانتقال من الموت إلى الحياة ، دون أن تقدم أية آية أخرى عن الغداء والكفارة والصوب ، والتوبة والإيمان والمعمودية ... ؟

لا يوجد أحد يقبل هذا الكلام . إنما يجدر بنا أن نضع آيات أخرى مثل : « ونحن أموات بالخطايا ، أحيانا مع المسيح » (أف ٢ : ٥) و « إد كنتم أمواتاً في الخطايا ... أحياكم معه ، مساعداً لكم بجميع الخطايا ، إذ عاى الصك الذى علينا ... مسمرأ إياه بالصليب » (كو ٢ : ١٣ : ١٤) « مدفونين معه بالمعمودية ، التى فيها أقمتم أيضاً معه ... » (كو ٢ : ١٢) « غدنا معه بالمعمودية للموت . حتى كما أقيم المسيح من الأموات ... نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة . لأنه إن كنا متحدين معه بشبه موته ، نصير أيضاً بقيامته » (رو ٦ : ٤ ، ٥) .

٤ - وبالمثل أيضاً ، إن سألك أحد : كيف أخلص ؟

أستطيع أن تضع أمامه آية واحدة هي « لاحظ نفسك والتعليم ، وداوم على ذلك . فأبك إن فعلت هذا ، تخلف نفسك والذين يسمعونك أيضاً » (١٦ : ٤) .

هل هذه الآية وحدها يمكنها أن تكون إجابة كافية في كيفية الخلاص ؟! بلا ذكر للدم والإيمان المعمودية !! أرك تنكر هذا ، ولك حق .

وبالمثل أيضاً من يجيب بآية أخرى هي : « لأنك إن اعترفت بفمك برب يسوع ، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات ، خلصت » (روم ١٠ : ٩) .

إنها آية . ولكنها وحدها لا تكفي . لماذا لا تضع إلى جوارها آية أخرى هي : « من آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) .

ولماذا لا تضع إلى جوارها أيضاً هذه الآية : « إذ كن القنك يُبنى ، الذي فيه خلص قليلون ، أي ثمانية أنفس بالماء . الذي مثله يخلصنا نحن الآن ، أي المعمودية » (١ بط ٣ : ٢٠ ، ٢١) .

وبهذا يتكامل الحق الكتابي ، ولا تتعبنا ضمائرنا ، إذ نتمتع أخفاء لآيات ، أي إخفاء أجزاء من الحق للإنجيل ، لكي نقدم مفهومنا الخاص ، وليس مفهوم الكتاب !! إنه سؤال ، دائماً يحيرني ، ولا أجده له جواباً :

هؤلاء الإخوة ، الذين ينادون بالتعليم للإنجيل ، ويدافعون عن الحق الكتابي ، لماذا لا يعلنون هذه الآيات وأمثالها ، إلى جوار الآيات الأخرى ؟! لماذا يعتمدون إخفاءها ؟! أليست هي أيضاً من الإنجيل ومن الكتاب ؟! إنني أسأل ...

أَيُّ اللّٰحِظَاتِ

الذين يتحدثون عن الخلاص في لحظة ، يترددون أحياناً في تحديد هذه اللحظة ما هي ؟ ومتى تكون ؟

١ - هل هي لحظة الإيمان ؟ أو لحظة قبول المسيح فادياً ومخلصاً ؟ علماً بأن الإيمان لا يتم في لحظة ، بل هو ثمر لعمل النعمة وخدمة الكلمة ، ربما في مدى زمني ..

٢ - أم هي لحظة المعمودية ؟ علماً بأن المعمودية لها طقس خاص ، لا يمكن إنعامه في لحظة !

٣ - أم هي لحظة التوبة ؟ والتوبة لا تهبط على الإنسان في لحظة ، وإنما هي اقتناع لقلب بالحياة الروحية ، وتخلصه من محبة الخطية ، وليس كل هذا ابن لحظة !

٤ - أم هي لحظة إنفتاح الذهن بالوعي ؟ أو لحظة « اشراق النور في لظلمة » . وكل هذا قد يأتي بالتدريج . والبعض لم يدركوه ، أو سم مدركوا أعماقه !

٥ - أم هي لحظة التحول في التفكير ، في القرارات وفي التصرفات ، كما يقول البعض . بينما لا يوجد إنسان يتحول فكره في لحظة ، والأمر كان تصرفه إنفعالياً أو سطحيًا ، ما أسهل أن يتحول إلى عكسه .

٦ - أم هي لحظة « تفجير مفاعيل المعمودية » حسب تعبير البعض . ولا شك أن هذا التعبير إن صح ، يكون بالتدريج ، وقد يشمل الحياة كلها ...

٧ - أم هي لحظة الإدراك ؟ كما قيل عن إدراك بطرس لوجود المسيح ، بينما كان يصيد السمك بعد القيامة (يو ٢١ : ٧) .. أو ما قيل عن معرفة تلميذى عمواس ، بأن الذى يكلمهم هو لمسيح (لو ٢٤ : ٣١) .. أو اللحظة التى فاق فيها يعقوب من رؤيا السلم السماوى وقال : « حقاً إن الرب فى هذا المكان ، وأنا لا أعلم » (تك ٢٨ : ١٦) .

ومع أن كل قصص الإدراك هذه لا علاقة لها بالخلاص إطلاقاً ، فلم يخلص بطرس ولا تلميذا عمواس ولا يعقوب في ذلك الوقت... إلّا إن هذا الإدراك لم يأت أيضاً فجأة في لحظة . وكمثال ذلك ما قيل عن تلميذ عمواس في (لو ٢٤ : ٣١ ، ٣٢) .

ومع ذلك ، فإن كل هذه الافتراضات حول كنه اللحظة ، تدل على عدم يقين من جهة الإيمان بها . كما تدل على فرض كلمة اللحظة فرضاً ، ثم البحث عن تفسيرها ، أو تعليل لها ، ولا يدل هذا على وجود قاعدة لاهوتية ثابتة .

لذا إذ التثبت بفكرة « اللحظة » هذه ، وكذا ذهن عبثاً للحصول على تفسير لها ، ومحاولة تسخير الآيات في غير موضعها ، بكى تماند موضوع اللحظة ، وتمنعه من الإنهيار..؟! لماذا؟...

الفصل العاشر



المؤمنون والمختارون

بأتى فكرة (الخلاص في حطة) ، من الاعتقاد بأن المؤمن يخص لحظة إيمانه . ولا يمكن أن يهلك بعد ذلك : ولاعتقاد بأن المؤمن لا يهلك ، هو خلط بين كلمة « مؤمنين » وكلمة « مختارين » ، كما لو كانتا كلمة واحدة !

ونحن نقول إن كان كل المختارين مؤمنين ، ولكن ليس كل المؤمنين مختارين ، لأنه يجوز أن يرتد المؤمن ويهلك ...

وهنا لا يكون المؤمن قد خلاص في لحظة إيمانه . وإنما يخلص إذا ثبت في حياة الإيمان طول عمره . فهو ليس في حالة واحدة باستمرار . قد تمر عليه أوقات ضعف أو فتور ، أو أوقات سقوط وانهايار . وقد يرتد . وقد قال الكتاب :

« أما البار فبالإيمان يحيا . وإن ارتد لا تسر به نفسي » (عب ١٠ : ٣٨) .

ويفهم من هذه الآية ، احتمال أن يرتد المؤمن ...

وقصص الارتداد في الكتاب كثيرة ، مثل قصة ديمس (٢ تي ٤ : ١٠) . وكالذين قال عنهم القديس بولس : « لأن كثيرين متى كنت أذكرهم لكم مراراً ، ولأن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح » (في ٣ : ١٨) .

كذلك النبوءات عن الارتداد كثيرة ، مثلما ورد في (١ تي ٤ : ٢ : ٢ تس ٢ : ٣) . ومثال الارتداد أيضاً الغصن الذى لم يصنع ثمرأ ، وقطع والقى في النار (يو ٦ : ١٥) وقول الرسول : « أما اللطف فلك ، إن ثبت في اللطف . وإلا فانت أيضاً ستقطع » (رو ١١ : ٢٢) ... إلخ .

والسيد المسيح قال لبطرس : « هوذا الشيطان طلبكم ، لكى يتربلكم كالحنطة . ولكنى طلبت من أجلك لكى لا يقنى إيمانك » (لو ٢٢ : ٣١ ، ٣٢) . إذن كان إيمانه معرضاً للفناء ! إنه ولا شك درس للذين يظنون أنهم نالوا الخلاص في لحظة ، وصاروا من المختارين . ولن يرتدوا .. !

هنا ونناقش موضوع المختارين في ضوء الفهم اللاهوتى :

هل الله مختار؟

ما معنى (الاختيار) عند المعتقدين به ؟ هل معناه أن الله اختار أناساً يكونون أبراراً وهم النعم ! وما فضلهم في ذلك ؟ واختار أناساً ليكونوا أشراراً وهم الجحيم ! وما ذنبهم في ذلك ؟ أو ليس من حقنا أن نقول :

١ - الاختيار بهذا المعنى ، يعنى محاباة للأبرار وظلماً للأشرار .

وحاشا لله أن يكون هكذا . فالله « ليس عنده محاباة » (أف ٦ : ٩) . « بل في كل أمة : الذي يتقيه وبصنع لبر مقول عنده » (أع ١٠ : ٣٥) . وعن هذا المعنى قيل : « كل من يدعو باسم الرب يخلص » (رو ١٠ : ١٣) . وهناك قاعدة وضعها الرسول ، وهى :

٢ - الله يحب الجميع وهو : « يريد أن جميع الناس يخلصون » . ول معرفة الحق يقبلون » (١ تي ٢ : ٤) .

وحيثما أرسل بنه الوحيد إلى العالم ، أرسله لأنه أحب العالم كله ، فبذل ابنه الوحيد ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به » (يو ٣ : ١٦) . وبذلك كن كفرة « ليس لخطاياها فقط ، بل لخطايا كل العالم أيضاً » (١ يو ٢ : ٢) .

الله لا يريد أن أحد يهلك . بل قيل عنه إنه : « لا يشاء موت الخطيء » ، بل أن يرجع ويحيا » (خر ١١ : ٣٣) .

٣ - بل حتى إن كان الله قد حكم على خاطيء بالموت ، ورجع هذا الخاطيء عن خطيئته وتاب ، يرجع الله عن حكمه ، فلا يموت الخاطيء بل يحيا . وهو نفسه يقول في ذلك : « إذا قلت للشرير موتاً قوت . فإن رجع عن خطيئته وهمل بالعدل والحق ... فإنه حياة يحيا ، لا يموت » (خر ٣٣ : ١٤-١٦) . « تارة أتكلّم عن أمة بالقلع والهدم والإهلاك ، فترجع تلك الأمة لتى تكلمت عليها عن شره ، فأندم على الشر الذى قصدت أن أصنعه بها » (إر ١٨ : ٧ ، ٨) . وهكذا فعل الله بالنسبة إلى مدينة نينوى (يون ٣) .

٤ - وإن كان هناك اختبار ، فلماذا إذن الوصايا ؟ ولماذا إذن الكتب المقدسة ، والأنبياء والرسل والانداعات ؟

ولماذا جعل في كنيسته « البعض مبشرين ، والبعض رعاة ومعلمين ... لعمل جمعة لنيان حسد المسيح » (أف ٤ : ١١) . ما لزوم وما فائدة كل هؤلاء إن كان مختارون معروفين ، والمرذوبون معروفين ؟ ... ولماذا أرسل الله أناساً لخدمة المصالحة كبولس الرسول الذي يقول : « وأعطانا خدمة المصالحة ... نسعى كسفراء للمسيح . كأف الله يعظ بنا ، نطلب عن المسيح : تصالحوا مع الله » (٢ كور ٥ : ١٨ - ٢٠) .

٥ - وإن كان هناك اختبار ، فلماذا إذن يتعب الشيطان ؟

لماذا يتعب في اغراء الصديق ، بينما هو مختار ، لن يتردد ولن يهلك ، وقد خلص خلاصاً لا رجعة فيه . ما الحدوى إذن من محاربه ؟ ولماذا يتعب الشيطان في إسقاط الذين لم يختارهم الرب ، المرذولين الذين هم هالكون هالكون بدون حرب ؟

٦ - وما جدوى مع ما قاله الرسول عن الحروف الروحية (أف ٦) .

مادام هناك مختارون ومرذولون ، فما لزوم لقتال إذن ، والصير معروف ؟ ألا يستطيع أن نفعل في صراحة نامة :

إن عقيدة الاختيار . تعطى ياساً للحظاة ، وتراخياً للابرار !!

٧ - ثم ما موقف النعمة هنا ممن يهلك ؟ وما مسؤولياتها ؟

مادام الاختيار محتوم ، ومن جانب الله ، وهذه إرادته ؟ ما الذي تفعله إذن ؟ ولا جدوى .. !

٨ - وإن كان هناك اختبار ، فما معنى الثواب والعقاب ؟ وما علاقة هذا بعدل الله ومحبه وبصلاحه ؟

كيف يختار الله إنساناً للعقاب ، ثم يعاقبه ؟ أين العذب في هد ؟ بل أين المحبة أيضاً ، إن كان الله يختار أناساً لعذب الأبدى ؟ ويكون هو الذي اختارهم لهذا !! بل هل يتفق هذا مع صلاح الله : ان يختار أناساً ليكونوا أشراراً ؟! حاشا ...

٩ - ومبدأ الاختيار هذا ، لا يتفق مع حرية الإرادة .

لقد خلق الله الإنسان حراً هو الذى يختار مصيره . وهكذا قال له : « نظر : قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير ، والموت والشر... قد جعلت قدامك الحياة والموت ، لبركة واللعنة . فاختار الحياة لكى تحيا أنت ولسلك » (تث ٣٠ : ١٥ ، ١٩) .

١٠ - إذن الاختيار قد جعله الله فى يد الإنسان :

الاختيار بيد الإنسان

بإمكان الإنسان أن يكون من المختارين ، أولاً يكون :

فإن صار من غير لمختارين ، فمعنى هذا انه بسلوكه لم يرد أن يكون مختاراً ..

وهذا الله يعاتب أورشليم ويقول لها : « يا أورشليم يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجة المرسلين ، كم مرة أردت أن أحص أولادك ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، ولم تريدوا . هوذا بينكم يُترك لكم خراباً » (مت ٢٣ : ٣٧ ، ٣٨) .

هنا الله يريد ، والبشر لا يريدون . إذن الخراب ليس سببه إرادة الله ، وإنما رفض الإنسان لإرادة الله الخيرة .

هوذا الرب يعاتب اليهود بدين رفضوه ويقول لهم :

« لا تريدون أن تأتوا إلیّ لتكون لكم حياة » (يو ٥ : ٤٠) .

أليس هذا ما قاله الرب عن دينونة المزدولين ، ليس لأن الله رذلهم ولم يحترهم . وإنما « هذه هي الدينونة : ان النور جاء إلى العالم . وأحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة » (يو ٣ : ١٩) .

١١ - لم يرفضهم النور ، وإنما هم الذين رفضوه .

وفى هذا قال الإنجيل عن السيد المسيح : « إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله . وأما كل الذين قبلوه ، فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله ، أى المؤمنين باسمه »

(يو ١ : ١١ ، ١٢) . وهنا ترى أن القبول أو الرفض ، أتى من جانب الإنسان وليس من جانب الله .

الله واقف على كل باب يفرع . والإنسان يفتح أولاً بفتح .

وهو يقول للكل : « إن سمع أحد لصوتي ، وفتح الباب ، أدخل إليه وأتمشى معه » (رؤ ٣ : ٢٠) . إن فتح أحد ، أتى أحد ... الفرصة معروضة على الجميع ...

١٢ - إن الله يعرض . ويتوقف الأمر على إرادة الإنسان :

وهكذا يقول الرب : « إن أراد أحد أن يأتى ورأى ، فليترك نفسه ويحمل صليبه .. » (مت ١٦ : ٢٤) « إن أردت أن تكون كاملاً ، اذهب بع كل مالك واعطه للفقراء .. » (مت ١٩ : ٢١) « فمن أراد أن يخلص نفسه ، يهلكها . ومن يهلك نفسه من أجل ، فهذا يخلصها » (لوقا ٩ : ٢٣ ، ٢٤) ...

١٣ - في هذه الآيات ، إرادة من الإنسان ، وعمل بناسبها ..

الله يشرح الطريق المؤدى إلى الاختيار . والإنسان حرّ يختاره أولاً يختار . قد يكون لطريق صعباً ، ولا يسلك فيه الإنسان ... كأن يرفض أن يسكر داته ويحمل صليبه ، أو يرفض أن يعطى أمواله للفقراء ، أو يرفض أن يهلك نفسه ليخلصها . أو يرفض أن يدخل من ابواب الضيق المؤدى إلى الحياة (مت ٧ : ١٤) . وهنا تقف أمامنا الآية الزهية لتي تقول :

« العريس مستعدة . وأما المدعون فلم يكونوا مستحقين » (مت ٢٢ : ٨) .

يختل إلى أن في هذه الآية التعبير الصادق في موضع الاختيار وعدمه : العرس مستعدة . وأترب يرسل عبيده للمدعوين . ولكمهم يرفضون ، ويقول عنهم الكتاب : « لكنهم تهاونوا . ومضى واحد إلى حقله ، وآخر إلى تجارته .. » (مت ٢٢ : ٣-٥) . بل يقول بالأكثر : « فلم يريدوا أن يأتوا » (مت ٢٢ : ٣) . هل نقول إذن أن الله اختار أساساً للحياة الأبدية ، أم نقول :

الله دعا الجميع إلى عرسه . والبعض « لم يريدوا أن يأتوا » . حقاً يقول الله للمريض « أتريد أن تبرأ » (يو ٥ : ٦) .

١٥ - الإنسان هو لدى يقرر مصيره في الحياة . وعلى أعماله تتوقف أبعده .
ولذلك يقول لرسول: «لأن من يزرع الحسنة، فمن اجسد يحصد فساراً . ومن يزرع
للروح، فمن لروح يحصد حياة أبدية» (غل ٦: ٨) . أترار يزرع للحسد، ويقول إن
الله لم يختري ؟!

اختبارات الرسول عليه

١ - يعترضون بأن الله اختار يعقوب دون عيسو، من بطن أمه . وقد هـ .
«في بطن أمتان.. وكبير يستعد لصغير» (تك ٢٥: ٢٣) كما هو مكتوب:
«أحببت يعقوب، وأبغضت عيسو» (رو ٩: ١٢، ١٣) .

ولا شك أن هذا الاختبار منى على علم الله السابق . فهو كان يعلم ماذا
سيكون عيه يعقوب بكامل إرادته، وكيف سيكون عيسو بكامل إرادته «زانياً
ومستباحاً» (عب ١٢: ١٦) ولن يبالى بالسكورية بن سيبوعها بأكنة عدس ويحتقرها
(تك ٢٥: ٣٤) . ولكن الله و كل ذلك لم يدفع عيسو إلى طريق الهلاك . ولم يرغب
يعقوب على عمل الخير . وهذا الاختبار المسمى على سابق علم الله، يوضحه القديس
بولس الرسول بقوة:

«الذين سقى فعرفهم، سقى فعينهم» (رو ٨: ٢٩) .

فالله يعرف ما سوف عمله خلافة في المستقبل بكامل إرادتها، وكيف ستكون
شخصيتها وسلوكها . وبناء على هذا، يختار الشخص المناسب للعمل المناسب . وقد
يهم المواهب التي تساعد على ذلك كما حدث مع يوحنا المعمدان، وإرميا النبي
ويعقوب، الذين اختارهم من بطن أمهاتهم، ومنحهم مواهب...

على أن هناك أشخاص آخرون منحهم الله مواهب وهلكوا ...

حتى الشيطان نفسه كان من أصحاب المواهب، وبدأ حسناً كرئيس ملائكة..
ثم أهلك نفسه . ولم يحتره الله للشهر، بل هو حول نفسه إلى شيطان.. ويهوذا اختاره
الرب ضمن الاثنى عشر، واستأمنه على الصندوق، وكان يجلس قريباً منه على
المائدة... ولكنه خانه وأهلك نفسه...!

مبدأ القرض إذا كان متاحاً للكل . والبعض انبحت لهم الفرصة والاختيار، وأهلكوا أنفسهم .

٢ - يعترضون بقول الكتاب : « ما أعدده الله للذين يحبونه » (١ كو ٩ : ٢) . وحسناً أن الآية هنا تقول : « للذين يحبونه » وليس « للذين يحبهم » . فنبته على ما في قلوب هؤلاء المحبين لله من مشاعر مقدسة ، قد أعد الله لهم ذلك النعيم الأبدى ...

٣ - يعترضون بقول الكتاب : « ليس لمن يشاء ، ولا لمن يسعى ، بل لله الذي يرحم » (رو ٩ : ١٦) .

ولعل هذه الآية تذكرنا بآية أخرى على نسقها تماماً وهي : « أنا خرست وأبولس سقى ، لكن الله كان ينمى . إذن ليس الفارس شيئاً ، ولا الساقى ، بل الله الذي ينمى » (١ كو ٣ : ٦ ، ٧) . وطبيعى أن الله لا ينمى الفراغ ، إنما ينمى ما قد خرس وسقى ... وبنفس الوضع « ليس لمن يشاء ، ولا لمن يسعى ، بل الله الذي يرحم » .

والله يرحم من ؟ يرحم الذي يشاء ، والذي يسعى . ولكن مشيئة الإنسان وحدها لا تكفى ، وسعيه وحده لا يكفى ، بدون رحمة الله . تماماً كما أن الفرس والسقى وحدهما لا يكفیان بدون الله الذي ينمى ..

إذن ليس معنى الآية أن الله يرفض المشيئة المقدسة والسعى المقدس . ويرحم من لا يشاء ولا يسعى ، كلا طبعاً . إنما الأهمية الكبرى تعطى لعمل الله معنا ، حتى لا يفخر أحد بأعماله ...

٤ - يعترضون بعبارته : « ألع الجبله تقول لجابلها : لماذا صنعتنى هكذا ؟ » (رو ٩ : ٢٠) .

وطبيعى ان الإنسان لا يقول لخالقه : « لماذا صنعتنى هكذا ؟ » ، فليكن كما يكون ، صاحب مواهب كثيرة ، أو لا مواهب له ... ولكن ليس لهذا تأثير على أبدية وخلاصه ...

وقد يكون اناء هوان على الأرض ، ويكون مصيره الأبدى عكس هذا ، كما كان لعازر المسكين . ولكن لا يمكن أن تعنى « إناء للهوان » أن يكون اناء للشر ، لأن

الخراف العظيم لا يمكن أن يصنع آنية للشر. فالشر ليس الله مصدره .

٥ - ومع ذلك كثيراً ما جعل الله بعض الناس آنية كرامة على الأرض ،
وهم غيروا مصائرهم بصفة دائمة أم مؤقتة :

فشاوول البنياميني حلّ عليه روح الرب فتنبأ ، وصار رجلاً آخر (١ صم ١٠) ،
وأخذ النسحة المقدسة من صموئيل النبي ، ولكنه حول نفسه إلى إناء هوان بارادته ، لما
استقل عن الله وخالفه ، ففارق روح الرب شاوول (١ صم ١٦) .

وبلعام كان آنية للكرامة ، وتنبأ نبوءات عن السيد المسيح ، وكان موضع إكرام
الملوك (عد ٢٢-٢٤) ولكنه حول نفسه آنية للهوان ، لما وقع في الضلالة ، ونصح بالاق
أن يلقي معصرة أمام الشعب (رؤ ٢ : ١٤) .

وشمشون جعله الله آنية للكرامة وحل عليه روح الرب وكان يتوده (قض ١٣) .
ولكنه حول نفسه إلى آنية هوان في فترة معينة وفقد كرامته وكسر نذره (قض ١٦) .
واخيراً عاد آنية للكرامة وحُسب مع رجال الإيمان (عب ١١ : ٣٢) .

٦ - أترى البعض كانوا مختارين ، فليسمعوا إذن قول الرسول :

لذلك بالأكثر اجتهدوا أبها الإخوة أن تجعلوا دعوئكم واختياركم ثابتين «
(٢ بط ١ : ١٠) .

انتظر كتاباً عن (المعمودية)

كجزء من سلسلة مقالات في (اللاهوت المقارن)

يشرح هذا الكتاب فاعلية سر المعمودية ، وكل الخلافات التي بيتنا
وبين البروتستانت في المعمودية . وفيه فصل وافٍ عن معمودية الأطفال ،
وردة على كل الاعتراضات التي تثار في هذا الموضوع وغيره .

فهرست الكتاب

صفحة

٧	مقدمة : أهمية العقيدة وتدريسها
١١	الفصل الأول : بدعة الخلاص في لحظة : تاريخها وخطورتها
٢٣	الفصل الثاني : التوبة والعمودية وعلاقتها بالخلاص
٤٤	دور الكنيسة في نقل الخلاص
٤٩	الفصل الثالث : الأعمال ومركزها في الخلاص
٦١	الفصل الرابع : ما يسمونها (مراحل الخلاص)
٧٧	الفصل الخامس : الخلاص هو قصة العمر كله
٩٣	الفصل السادس : اعتراضات والرد عليها
١١٣	الفصل السابع : هل خلص هؤلاء في لحظة
١٢٧	الفصل الثامن : هل هذه الآيات تثبت الخلاص في لحظة
١٤١	الفصل التاسع : مفاهيم لاهوتية
١٦٧	الفصل العاشر : الاختيار

في هذا الكتاب

باسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد ، آمين

بدعه خلاص في حطة ؟
ما تاريخه الأصلي ؟ وما تطورها ؟
ما علاقة الخلاص بالمسيحية
والتوبة ؟

وما علاقته بمسحة أنور من
الأعمال ؟

ما دور الكنيسة في نقل الخلاص ؟
هل في لحظة واحدة أمكن أن يخلص
المسيح ، والمشاره وسجنا قلبه ،
وذكاء ، والامس القدا ، ؟

هذا يقولون من (مراحل
الخلاص) ؟ وما تحس ذلك والره عليه .

ما مفهوم (اختيار) لاهوتياً .

مفاهيم لاهوتية أخرى كثيرة ...

كل هذه الموضوعات يقدمها لك
الكتاب الذي بين يديك .

والله في كتاب آخر عن
السرور ، والتقديس ، والتعميد ،
والتجديد !!

شكوه الثالث